سلطنة عمان
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
معهد العلوم الشرعية

في الشعر العماني القديم

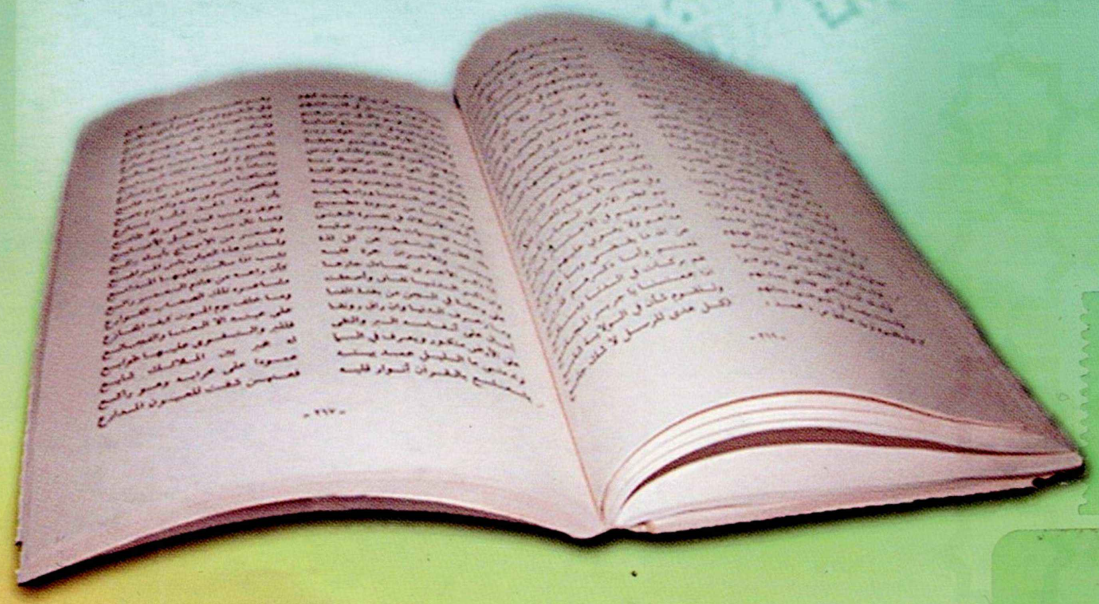

الدكتور : مصطفى محمد الفكي أبو بكر

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

في الشعر العماني القديم

تأليف

الدكتور/ مصطفى محمد الفكي أبوبكر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

في عام ١٩٨٩م انتدبت للعمل بالتدريس بمعهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد بسلطنة عُمان.

وقد كلفتني إدارة معهد القضاء بتدريس الشعر العماني القديم للطلاب.

وقد وجدت أن الموضوع مازال بكراً، ولم يكتب عنه إلا القليل، فرجعت إلى دواوين لشعراء وماكتب عن تاريخ عمان، وأعددت هذه المحاضرات وألقيتها على أولئك الطلاب.

ثم رأيت أن من الأفضل أن أنشر هذه المحاضرات في كتاب، فلعلها تلقي الأضواء على الشعر العماني القديم، الذي مايزال مجهولاً عند الكثير من الأدباء والكتاب، فلم يكتب عنه إلا القليل، ولم يعرف في القديم، وظل بعيداً عن متناول الدارسين، فلعل في نشر هذا الكتاب ماينبه الباحثين إلى دراسة هذا الشعر الرصين، ومايلفت إليه نظر الدارسين.

والله ولي التوفيق

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :-

١- البيئة العمانية :-

قبل أن نتحدث عن الشعر العماني يجدر بنا أن نتحدث عن البيئة العمانية التي أظلت هذا الشعر ونما في رحابها ذلك لأن الشاعر والشعر إنما هما نتاج البيئة وانعكاس لها ودراسة البيئة مفتاح لفهم الشعر واتجاهاته.

وقد تحدث ياقوت الحموى قديماً معرفاً بعمان فقال : [١]

«عمان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعمان في الأقليم الأول طولها أربع وثلاثون درجة، وثلاثون دقيقة. وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة، في شرقي هجر.

وتشمل بلدانا كثيرة، ذات نخل وزرع إلا أن حرها يضرب به المثل...»

ويذكر ياقوت أن معظم أهل عمان في أيامه من الأباضية، وأنهم لايخفون ذلك، وليس بها غير هذا المذهب إلا طارىء غريب.

أما اشتقاق عمان ومعناه فإن ابن دريد يذهب إلى أن اشتقاق عمان من عمن بالمكان يعمن إذا أقام به ويقال أعمن القوم إذا خرجوا إلى عمان فهم معمنون [٢] ويقول الفيروز آبادي في القاموس المحيط «عمن بالمكن كضرب وكسمع أقام.. وكغراب: رجل وبلدة باليمن. [٣]

وعمان تصرف ولاتصرف فمن جعله بلداً صرفه في جميع الأحوال، ومن جعله

١- معجم البلدان ياقوت الحموي ج٤ ص١٥٠

٢- جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي العلبكي ، ج٢ ، ص٩٥٢ .

٣- القاموس المحيط، ج٤، مادة عمن، ص٢٤٩ ، دار الفكر بيروت ١٩٨٣م.

بلدة ألحقة بطلحة. وينقل ياقوت عن الزجاجي قوله سميت بعمان بن إبراهيم الخليل وقال ابن الكلبي سميت بعمان بن سبأ بن يغثان بن إبراهيم خليل الرحمن لأنه بنى عمان.[١]

ولعل أقدم اسم لعمان هو : مجان وقد وجدت إشارة إلى هذا الاسم في لوحة يرجع تاريخها إلى ٢٣٠٠ قبل الميلاد كما وجد اسم ماجان يتردد في اللوحات المسمارية.[٢]

ثم أطلق الفرس عليها اسم مازون.

ونظراً لبعد عمان فقد روى بعض أهل التفسير أن قوله تعالى :﴿يأتين من كل فج عميق﴾ عمان وروى الحسن بن عادية قال : لقيت ابن عمر فقال: من أي بلد أنت؟ قلت: من عمان . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطىء البحر الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها»[٣]

وهناك حديث آخر عن الرسول ﷺ : «من تعذر عليه رزقه فعليه بعمان»[٤]

ونظراً لبعد عمان واستقلالها عن السلطة المركزية في الدولة الإسلامية في معظم الأزمان فإننا نجد أن المؤلفات الجغرافية القديمة مثل صفة جزيرة العرب للهمداني وبلاد العرب للأصفهاني قد تناولت عمان من بعد يقول ابن حوقل: – وطريق عمان يصعب سلوكه من البرية لكثرة القفار وقلة السكان، وإنما طريقهم البحر إلى جدة على سواحل مهرة وحضرموت إلى عدن.[٥]

١– معجم البلدان المجلد الرابع ص١٥٠ ومابعدها.

٢– عمان وتاريخها البحري لوليم فايس وآخرين وزارة الإعلام بعمان ١٩٧٩ ، ص١٦ .

٣– مجمع الزوائد ٣ / ٢١٧ وقال رواه رجال ثقات، مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٠ حديث رقم ٤٨٥٣ عن حسن بن هادية معجم البلدان المجلد الرابع ١٥٠ ومابعدها.

٤– فيض القدير ٦ / ١٠٦ بلفظ من تعذرت عليه التجارة، وكذلك في الإصابة ٣ / ٣٣١ في الطبراني الكبير ٧ / ٣٠٦ من تعذرت عليه الضيعة فعليه بعمان»

٥– حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج٧، ص٧٠ ومابعدها.

ويقول الإدريسي :

ومن مدينة صحار إلى بلاد البحرين نحواً من عشرين مرحلة، وطريق عمان في البرية إلى مكة أو غيرها صعبة، لكثرة القفار وقلة السكان، وإنما يسافرون على المراكب على البحر إلى مدينة عدن، ومن عدن يسافرون إن شاءوا براً أو بحراً.[١]

وينقل السالمي عن ابن خلدون قوله: عمان إقليم سلطاني منفرد على بحر فارس من غربيه مسافة شهر. شرقيها بحر فارس، وجنوبيها بحر الهند، وغربيها بلاد حضرموت وشمالها البحرين. كثيرة النخل والفواكه، وبها مغاص اللؤلؤ سميت بعمان بن قحطان، أول من نزلها بولاية أخيه يعرب.

وصارت بعد سيل العرم للأزد وجاء الإسلام وملوكها بنو الجلندي.[٢] وتمتاز البيئة العمانية بالتنوع ذلك لأننا نجد فيها السواحل البحرية فكأنها شبه جزيرة كما نجد فيها ، الجبال الشامخة، وكذلك نجد فيها الصحاري الشاسعة والمروج الخضراء، وقد أثرت البيئة على طبيعة الحياة وعلى حرف الناس فنبغ العمانيون في الملاحة وبرعوا في التجارة والزراعة وكانت عمان من الحواضر العريقة كما كان بها أهل البادية، الذين ظلوا على طبيعتهم ، يضربون خيامهم في الصحراء، يرحلون طلبا للماء والكلأ.

وفي القديم انعزلت عمان وذلك يرجع إلى عاملين:-

الأول : بعدها عن مركز الخلافة وصعوبة الوصول إليها لوعورة الطرق والمسالك.

١- حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج٧، ص٧٠ ومابعدها.

٢- تحفة الأعيان ، ص٦ .

والثاني : هو أنها صارت ملجأ للمعارضين للدولة الأموية وتركز فيها المذهب الأباضي، ولذلك نجد أن عمان استقلت عن سلطة الخلافة في أكثر الأزمان وصار أهلها يولون عليهم من يرون من الحكام.

٢- سكان عمان :-

المصادر العمانية تذكر أن عمان كانت للفرس وقد كانوا يسمونها مزوناً يقول أحد الشعراء :-[١]

إن كسرى سمى عماناً مزوناً ومزون ياصاح خير بلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل ومراع ومشرب غير صاد

ثم عندما حدث سيل العرم وتفرق العرب أيدي سبأ فمنهم من ذهب إلى الشمال كقبائل الأوس والخزرج الذين استقروا في يثرب «المدينة المنورة» وبني غسان الذين استقروا في الشمال في الشام ذهب مالك بن فهم ومعه عشيرته من الأزد ومن تبعهم من القبائل إلى عمان فحارب الفرس وأجلاهم وسيطر على عمان ومنذ ذلك الحين اكتسبت عمان عروبتها وعمرها العرب.

٣- عمان والإسلام:-

وعندما جاء الإسلام كانت عمان تحت حكم جيفر وعبدابني الجلندي ويبدو أن الإسلام قد تسرب إلى عمان عن طريق الداعية الرائد مازن بن الغضوبة الطائي.

ثم إن الرسول ﷺ أرسل كتاباً إلى ابني الجلندي حاكمي عمان يدعوهما فيه إلى الإسلام وكان رسوله هو عمرو بن العاص.[٢]

١- كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة إعداد احمد عبيدلي دلون للنشر ١٩٨٥ ص٢٢٠ .

٢- انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الأول س٢٦٢ .

فاستجاب الملكان للدعوة الإسلامية ودخل العمانيون في دين الله أفواجاً وبقي معهم عمرو بن العاص إلى أن توفي رسول الله ﷺ فرجع عمرو إلى المدينة ومعه جيفر وعبد ابني الجلندي وأبي صفرة سارق بن ظالم وجماعة من الأزد.

وقد أقر الخليفة الأول أبوبكر رضي الله عنه عبد وحيفر على عمان وظلت عمان تحت سلطة الخلافة حتى حدثت الفتنة الكبرى واستولى الأمويون على الحكم ولم يكن للخليفة معاوية بن أبي سفيان سلطان على عمان ولكن في عهد عبدالملك بن مروان أصدر الخليفة أمراً إلى الحجاج بن يوسف الثقفي واليه على العراق بإخضاع عمان لسلطة الخلافة الأموية وبعد حروب عنيفة ومجاهدات مريرة أدخل الحجاج عمان في طاعة بني أمية، ولكن كثيراً ما كان العمانيون يتفلتون من سلطة بني أمية.

ولما جاءت الدولة العباسية بعد القضاء على الدولة الأموية استقلت عمان تحت ولاية الأئمة من الأباضية فتولى الإمام الجلندي بن مسعود وحارب العباسيين بقيادة خازم بن خزيمة عامل السفاح واستطاع أن يقضي على الإمام الجلندي بن مسعود وأصحابه. وفي عهد الرشيد بعث عيسى بن جعفر في ألف فارس وخمسة الاف راجل فحاربه الإمام الوارث بن كعب الخروصي الشاري اليحمدي الأزدي واستطاع الإمام الوارث أن ينتصر على عيسى ومنذ ذلك الحين امتنع أهل عمان على الخليفة، ولم يعصوه طاعة، وصاروا يولون أمرهم أئمة منهم.

وهكذا انفصلت عمان عن الخلافة منذ ذلك الحين وصار أمرها وحكمها بيد أهلها هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية الاقتصادية فإننا نجد أن المدن العمانية كمسقط وصحار لعبت دوراً كبيراً في اقتصاد ذلك الزمن، فكانت مراكز هامة للتجارة وتربط موانيها بين الهند وجنوب شرق آسيا الشرق الأقصى وشرق أفريقيا وأوروبا. وقد ظلت تحتفظ بهذه الأهمية حتى بعد ظهور البرتغاليين، تحول طرق التجارة عن العالم العربي.

نكتفي بهذه المقدمة الموجزة ولعلنا نكون قد ألقينا بعض الضوء على عمان ونتحدث بعد هذا عن الشعر العماني القديم:-

٤- الشعر العماني:-

مايزال مجال الشعر العماني بكراً فلم يكتب الكثير عنه ولدينا بعض الدواوين القديمة التي حفظت من ذلك التراث ولعل الكثير منه قد ضاع أو لعل هناك الكثير منه في المخطوطات التي تقبع في المكتبات الخاصة ويتضح لنا مما لدينا من نصوص أن الأدب العماني أدب عريق فقد عرفت عمان العروبة قبل الإسلام بأجيال عديدة وأهلها عرب أقحاح ينتمون إلى يعرب بن قحطان وتذهب بعض الروايات إلى أن مالكاً بن فهم كان معاصراً لسيدنا موسى، ولكن هناك مبالغة في هذا التاريخ، فإذا كان مالك بن فهم قد هاجر الى عمان بعد سيل العرم فإن سيل العرم كان قبل الإسلام بمئات السنين فحمزة الأصفهاني في كتابه تاريخ سني ملوك الأرض يجعل خراب سد مأرب قبل الإسلام بنحو أربعمائة عام ويذهب ياقوت الحموي إلى أنه كان في أيام الأحباش. وقد عثر في بعض النقوش أن تخريب السد إنما كان عام ٥٤٢ بعد الميلاد .[١]

وتنسب بعض المصادر العمانية أبياتاً لمالك بن فهم باللغة العربية الفصحى يقول فيها .[٢]

تحن إلى أوطانها بزل مالك ومن دونها عرض الفلا والد كادك

وفي كل أرض للفتى متقلب ولست بدار الذل طوعاً برامك

ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب رحاب النواحي واضحات المسالك

١- تاريخ العرب للدكتور فليب حتى وآخرين، دار غندور للنشر، ١٩٨٦، ص٩٢ ومعجم البلدان ج٥.ص٣٥ دار صادر بيروت.

٢- تحفة الأعيان ص٤

وثلاثة أبيات أخرى يقول فيها:-

تحن إلي أوطانها بزل مالك ومن دون ماتهوى فرات المقارف

وسيح أبي فيه منع لضائم وفتيان أنجاد كرام غطارف

فحني رويداً واستريحي وبلغي فهيهات منك اليوم تلك المآلف

ولو صحت نسبة هذه الأبيات لمالك بن فهم لكانت دليلاً لايتطرق إليه الشك على رسوخ العربية الفصحى قبل الإسلام في عمان وبناء على الآراء التي قدمناها في حدوث تاريخ سيل العرم فمعنى ذلك أن هذا السيل حدث بعد توحد اللغة العربية وبروز لهجة أدبية فصحى موحدة وقد حدد الجاحظ أقدم ما وصلنا من الشعر الجاهلي بنحو مائة وخمسين أو مائتي عام قبل البعثة، أما إذا رجحنا الروايات العمانية التي تذهب إلي أن مالك بن فهم كان معاصراً لسيدنا موسى أو ما رجحه المستشرق فليبس من أن مالك بن فهم عقد هدنة مع الحاكم الفارسي سنة ١٤٧-١٩١م.

فإننا نشك في نسبة هذه الأبيات إلى مالك. على إننا نرجح الاحتمال الأول وهو أن سيل العرم قد كان ٥٤٢م.

والدليل الذي لايتطرق إليه الشك على رسوخ اللغة العربية الفصحى في أرض عمان قبل الإسلام هو كتاب الرسول ﷺ إلى عبد وجيفر ابني الجلندي فلو لم تكن اللغة الفصحى راسخة في عمان ماكتب الرسول ﷺ إلي ابني الجلندي بها وكذلك الشعر المنسوب إلى مازن بن الغضوبة الطائي الصحابي المشهور ورائد الدعاة في عمان. كما إننا نجد العديد من أبرز شعراء العصر الجاهلي كانوا يعيشون في منطقة الخليج كطرفة بن العبد وامريء القيس وغيرهم.

فعمان مثلها كمثل البلاد العربية في ذلك الحين توحدت فيها اللغة الفصحى لغة الشعر والخطابة والمحافل وقد برز في القديم من شعراء عمان العديد من الشعراء

منهم: مازن بن الغضوبة الطائي وثابت قطنة الشاعر الأزدي العتكي ومنهم كعب بن معدان الأشقري وكان من أصحاب المهلب وقد مدح المهلب وأولاده وكان عبدالملك بن مروان معجباً به ويروى أن عبدالملك بن مروان قال للشعراء ذات مرة:

وتشبهونني مرة بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده:-

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً عذارا

بنوك السابقون إلى المعالي إذا ما أعظم الناس الخطارا

كأنهم نجوم حول بدر درارى تكمل فاستدارا

ملوك ينزلون بكل ثغر إذا ما الهام يوم الروع طارا

رزان في الأمور ترى عليهم من الشيخ الشمائل والنجارا

نجوم يهتدي بهم إذا ما أخو الظلماء في الغمرات حارا

ويكفي أن الفرزدق وهو من هو في عالم الشعر قد عد كعباً أحد الشعراء الأربعة الكبار في الإسلام فقال :

«شعراء الإسلام أربعة: أنا وجرير والأخطل وكعب الأشقري».

ويروي صاحب الأغاني قال :«حدثني أحمد بن قتيبة قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن المتلمس قال: قلت للفرزدق: ياأبا فراس أشعرت أنه نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له كعب قال الفرزدق: إي والذي خلق الشعر.

وهكذا نجد أن الشعراء الذين غادروا عمان واتصلوا بالخلافة الإسلامية وولاتها قد اشتهروا على نطاق العالم الإسلامي أما الذين لم يغادروا عمان فقد ظلت

أشعارهم حبيسة ولم يعرف معظمها إلا على النطاق المحلي الضيق وقد ضاع الكثير من هذه الأشعار.

ولعل أقدم ماوصل إلينا من الشعر العماني للشعراء المحليين الذين لم يغادروا عمان القصيدة التي أوردها الشيخ محمد بن راشد المنسوبة إلي أبي عبدالله محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي من شعراء القرن الرابع الهجري والتي يقول فيها.[1]

ألا حي دار الحي من بطن حلوان وحـي مراعيهـم بأكنـاف قـران

وحي اللوى فالأبطح الرمث الداني ووادي الحمى والمرخ من سفح رامان

وهي قصيدة طويلة .

وأقدم ما وصلنا من الدواوين هو ديوان الستالي الذي عاش في القرن السابع الهجري وديوان السلطان سليمان بن سليمان النبهاني الذي عاش في القرن التاسع الهجري وديوان ابن اللواح الذي عاش في القرن التاسع الهجري وديوان الكيذاوي الذي عاش في القرن العاشر الهجري وإذا نظرنا إلى شعر هؤلاء الشعراء وحاولنا أن نستخلص منه مميزات الشعر العماني القديم فإنا نجد أبرز ميزات الشعر العماني القديم في مايلي:-

٥- مميزات الشعر العماني القديم:-

١- التمسك بعمود الشعر العربي القديم:-

من المميزات الواضحة للشعر العماني أنه شعر ينسج على منوال القصيدة العربية التقليدية فهو شعر يتمسك بعمود الشعر العربي القديم الذي وصفه لنا المرزوقي في مقدمة ديوان الحماسة [2] من حيث التمسك بصحة المعنى وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقارنة في التشبيه، والتحام أجزاء

١- شقائق النعمان على سموط الجمان لمحمد بن راشد الخصيبي، وزارة التراث عمان ، ١٩٨٢ ، ج١ ، ص٢٩ .

٢- انظر مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لاتنافر بينهما.

كما أن هناك مرتكزات واضحة في بناء القصيدة القديمة نجدها واضحة في بناء القصيدة العمانية مثل بناء القصيدة على تعدد الموضوعات وافتقارها للوحدة العضوية وقيامها في أغلبها على البحر الواحد والقافية الواحدة.

٢- الالتزام بالأوزان التي اكتشفها الخليل بن أحمد:

كذلك نجد أن الشعر العماني يلتزم بالأوزان العروضية التي أحصاها الخليل ابن أحمد ولايخرج كثيراً عنها فمعظم القصائد على بحور الخليل كالطويل والبسيط والرمل والوافر والكامل..إلخ. وهناك بعض المحاولات القليلة في الشعر العماني للتجديد في موسيقى الشعر ولكنها لاتخرج من دائرة العروض الخليلي ولعلها أقرب إلى التأثر بالتجديد الذي حدث في العصر العباسي فقد نظم العمانيون المسدسات والمخمسات يقول الشاعر أبو عبد الله القلهاتي من شعراء القرن الرابع الهجري من قصيدة مسدسة أسماها الحلوانية أو القحطانية.[١]

ألا حي دار الحي من بطن حلوان وحي مراعيهم بأكناف قران

وحي اللوى فالأبطح الدمث الداني ووادي الحمى والمرخ من سفح رامان

مآلف أحبابي ومعهد أخداني ديار بها في اللهو جررت أرساني

* * *

ذكرت بها الحي الجميع قبيل أن يعيث النوى فيهم فيؤذن بالشطن

فبت سمير الهم والليل قد دخن كأني سليم لم تذق عيني الوسن

بكى أسفاً وارتاع خوف الردى وأن كمثلي لما هيج الشوق أحزاني

١- شقائق النعمان على سموط الحمان ج١ ، ص٣٠ .

وعهدي بها والشمل متصل العقد مضارب فيها كل واضحة الخد

منعمة الأطراف مهزوزة القد تميس كغصن البان في كفل نهد

وترنو بعين الظبى بالأجزع الفرد وتجزيك عن وصل بصد وهجران

* * *

فيا حسنها من أربع وملاعب وياطيبها من أدور ومضارب

مسارح ربات الحجا والربارب ومغنى الغواني الآنسات الكواعب

برزن ولايخشين رقبة راقب ويختلن في برد الشباب بريعان

والقصيدة طويلة يمضي فيها الشاعر على هذا النمط وتتألف من مقطوعات تتكون المقطوعة من ستة أشطر خمسة منها متحدة القوافي أما الشطر الأخير فإن قافيته تتحد في كل القصيدة مع التزام وزن واحد في جميع القصيدة.

ونجد أيضاً الستالي يأتي ببعض المخمسات يقول يمدح السلطان محمد بن معمر بن عمر بن نبهان :-[1]

أمن وميض كالقبس ورائح جاري النفس

وصائح وقت الغلس قلبك صب مختلس

يعتاده التبلد

عقبى الهوى دمع يكف أوبدن نضو دنف

وصاحب الحب كلف مرتهن حيث ألف

متيم معبد

عارضنا السرب فعن منه لنا طبى أغن

فحن مشتاقاً وأن وكاد من وجد يجن

وفاته التجلد

١- انظر ديوان الستالي ص١٣٥

ويمضي الشاعر هكذا إلى أخر القصيدة.

٣- استخدام المحسنات البديعية :-

وقد تأثر بعض الشعراء العمانيين خاصة المتأخرين منهم بموجة الصناعة البديعية التي كانت سائدة في أواخر العصر العباسي حيث اهتم الشعراء بالبديع فأكثروا من التوازن والازدواج والجناس والتلاعب بالألفاظ وأثقلوا الأبيات بالحلى البديعية حتى ذهبت طلاوتها وضعف معناها ومن الشعراء العمانيين الذين أولعوا بالمحسنات البديعية الشيخ خلف بن سنان الغافري من شعراء القرن الحادي عشر الهجري يقول في أبيات له وقد التزم فيها المجانسة بين آخر الصدر وآخر العجز:-[١]

لقد صرت حيراناً أصم المسامع لفقد حبيب في الضحى والمسامعي

ولو أن من أهواه طول المدى معي لما صرت محزوناً هطول المدامع

ويقول :-

لقد فاز عبد باع دنياه هذه الدنية والأخرى وشيكاً شرى بها

فدنياك إن اسقتك عذباً مبرداً سقتك خلاف العذب مر شرابها

ويقول :-

ماهاج وجدى يوماً بالدجى سار ولالمهديه دمعي سائل جار

ولاعلى راية شط المزار بها أضحى الغرام وتبريح الهوى جار

ومن الذين أولعوا بالبديع كذلك الشيخ محمد بن عبدالله بن سعيد المعولي من شعراء القرن الحادي عشر وإليك نموذجاً من شعره على طريقة التشجير.[٢]

١- شقائق النعمان ج١ ، ص٩٢ ، ٩٣ .

٢- المصدر السابق ص٧٩ - ٨٠ .

من بديع الشعر العماني
عن الشاعر المعولي

سبى عقلي وعذب مهجتي..بمقلته الحمراء والجيد والخد	سبى	ل ربخ حكي الشمس بهجتي..ونور إذا حلت بروجا من
ملني وأنلني..فياحسرتا قد زدت وجدا على وجد	ملني	ماتورد لحالتي.. إذا زار يوما دام يوما على الصد
البعد معتد..على قتل أهل العشق بالجد والجهد	البعد	الجفا والجفا..عهود فما ينفك يوما من الصد
عالم..بما بي من الأشواق والحزن والوجد	عالم	لايقي..بعهودة إن مت يوما على الود
..عزيز ميود أغيد مائس القد	عزيز	بخيل بإبقاء كريم على البعد
بتعذيبي وماعنه من بد	بتعذيبي	بخيل الهجر خال من الود
عارف بالذي عندي	عارف	لايتورع على عهد
العهد بالزهد	العهد	الود بالجد
والوعد	والوعد	بالقصد

من بديع الشعر العماني
عن الشاعر المعولي

مولا:		
قيلا	حلولا	
الحول سيلا	الربوع كهولا	
في القضا عدلا	للشحيح عدولا	
أضحى ذكرهم مثلا	أضحى ربعهم مجهولا	
للذين سروه وفيلا..	..في الربيع فاختاروا عليه بديلا	
أرحلوا.. لو كان قلبي عندهم مكثلا	تحملوا وتخيروا بعد المقام رحيلا	
الحبيب ولن غدا.. جسمي لأجل فراقهم منحولا		
عليك ماسرت الصبا.. أرهب زيارة المسيء عليلا	مؤيدا ومسرمداً..يغشى الأحبة بكرة وأصيلا	
على بنظرة فعلها.. تشفي لنا بعد الفراق عليلا	التحية والسلام على الذي..ترك الفؤاد مولها مشغولا	

وللمعولي أيضاً قصيدة إذا قرأتها بالعكس صارت ذماً وهي قصيدة طويلة يقول:-[1]

سير لهم طابت فما خبثت ربحت لهم سلع فما خسروا

نصروا فما خذلت لهم دول عملوا بما علموا ومانفروا

عصر بهم جادت وما لؤمت كرمت لهم شيم ومانكروا

قدروا فما ذمت لهم شيم شرفت لهم ذمم فما غدروا

عمروا فما خربت لهم طرق كبرت لهم همم وماصغروا

ونجد أيضاً بعض الشعراء المتأخرين اتخذوا من الشعر وسيلة للرياضة الذهنية واللغوية فالشيخ بشير بن عامر الازكوي وهو من شعراء القرن الثالث عشر الهجري ينظم قصيدة يرتب أوائل أبياتها على ترتيب الحروف الهجائية فيقول:-[2]

أيها الغر كيف تطعم غمضا والمنايا يركضن حولك ركضا

بادر الموت للمعاد بزاد صالح تلق ماتحب وترضى

تب إلى الله عن معاصيك واندب عمراً منك في الذنوب تقضى

ثم أصلح ماكنت أفسدت قدماً كان نفلا هناك أو كان فرضا

جف ماء الشباب منك وأمسى عوده ذابلا وقد كان غضا

ويقول الشيخ جاعد بن خميس وهو من شعراء القرن الثالث عشر الهجري قصيدة التزم في ترتيبها أن تبدأ أبياتها بحرف القاف وكذلك قوافيها يقول:-[3]

قد حت زناداً تستتضيء بنوره ألباب كل العالمين وتشرق

قرشت لنار آنست أنوارها تمحو من البال الخيال وتمحق

١- شقائق النعمان ج١،ص٧٣ .

٢- المصدر السابق ص١٢١

٣- المصدر السابق ص١٤٦

قمحت لهم وادي المقدس بالهدى نـودوا ألا هـذي الحقائق تنطـق

قطنت بأسرار لـها في سـرهم تجلو صدا الأهواء لما ترهق

قهرت زمام النفس عن سبل الهوى وبنارها الشيطان صارت تحرق

٤- غلبة الروح الإسلامية:

تغلب على الشعر العماني القديم الروح الدينية والطابع الإسلامي فمعظم الشعراء العمانيين القدماء قد تثقفوا بالثقافة الدينية وتشبعوا بتعاليم الإسلام ولذلك كان أثر الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية واضحاً في شعرهم يتضح في حكمهم وفي تمجيدهم لله تعالى ومدحهم للرسول ﷺ وإشادتهم بتعاليم الإسلام ودعوتهم إلى التمسك بها وربما دعا بعضهم إلى التصوف والزهد وكذلك فإن المجتمع العماني مجتمع محافظ شديد التمسك بالإسلام ولذلك فمن النادر أن نجد في الشعر العماني غزلاً ماجناً خليعاً أو هجاء مسفاً.

٥- أغراض الشعر العماني:-

لايخرج الشعر العماني عن الأطر والأغراض التي نجدها في الشعر العربي المحافظ وسوف نستعرض بإيجاز بعض أعراض الشعر العماني فيما يلي من صفحات إن شاء الله.

أ- المدح :

لعل من أبرز الأغراض في الشعر العماني القديم المدح. وفن المدح كما نعلم فن ذو مساحة واسعة في الشعر العربي ذلك لأن الشاعر كان يجد من ممدوحيه العطاء الجزيل، والطمع من الدوافع الهامة للشعر كما قال ابن قتيبة [١] ومعظم المدح كما نعلم لاتنبع من عاطفة صادقة، ولذلك خلا من الرواء والبهجة إلا بعض القصائد التي تنبع من حب صادق ومعرفة حقيقية للمدوح وإعجاب به مثل قصائد المتنبي في مدح

١- الشعر والشعراء لابن قتيبة.

سيف الدولة وبعض قصائد الستالي في مدح بني نبهان وسنتسعرض هنا قصيدة للستالي يمدح بها السلطان أبا محمد بن نبهان وذلك لأن الستالي من أبرز شعراء المدح في عمان يقول :- [1]

هل أنجزت لك وعد الوصل أسماء أم شأن موعدوها مطل وإنساء

أم هل شفى منك داء الحب مصطبرا أم استمر عقاما ذلك الداء

صادتك أسماء لحظاً وهي آنسة بيضاء لينة الأطراف حسناء

تعرضت لك في دل وفي خفر تخال وهي أناة الخطو غيداء

ثم يتخلص من الغزل إلى المدح فيقول:

الحمد لله ماأبهاه من زمن أيامه ببني نبهان زهراء

آل العتيبك اليمانون الذين لهم من سادة الأزد أجداد وآباء

أقسمت ما عمر الدنيا بزينتها إلا الملوك اليمانون الأعزاء

المدركون من الغايات ماطلبوا والنازلون كراماً حيثما شاءوا

والمؤمنون وأنصار الرسول هم إذ قومه أهل تكذيب وأعداء

والمطعمون من الكوم العبيط إذا هبت على الحي بالصرداء نكباء

ينوب عن مطر الوسمي جودهم إذ أقبلت سنة بالمحل شهباء

والراكبون العتاق الجرد غادية إذا غدت غارة بالخيل شعواء

فالشاعر كما ترى يمدح السلطان النبهاني بعراقة الأصل وشرف القبيلة فأجداده سادة الأزد ينتمون إلى اليمن وهم أهل العزة والشرف نصروا الرسول ﷺ عندما كذبه قومه، يشير هنا إلى الأوس والخزرج الذين ينتمون إلى أصول أزدية كما يصف آل نبهان بأنهم أهل السيادة والعزة القعساء يدركون ما يريدون وينزلون حيثما يشاءون ويصفهم كذلك بالجود والكرم فهم يطعمون الناس اللحم العبيط

١- ديوان الستالي ص١٠

عندما يشتد الشتاء وينعدم القوت، فهم عند المحل أجود من المطر كما يمدحهم بالشجاعة والقوة وبعد هذا المدح العام بعراقة الأصل وعزة القبيلة والكرم يوجه المدح إلى شخص الممدوح فيقول:

لقد سمت نحو غايات العلى بأبي ... محمـد شـيم كالدر غـراء

مهـذب العقـل والأقوال معتمد ... صنع الجميل وللمذموم أباء

ضاحي الأسرة بهلول يلوح على ... جبينه من فريـد الجـود لألاء

وليس حسن السجايا بالعجيب لمن ... أبـوه ذهـل فـإن النسـل قفاء

فالممدوح كما ترى يتميز مع عراقة الأصل بصفات نبيلة جديرة بأن تبوئه السيادة فهو مهذب في عقله وقوله، يصنع المعروف ويأبى الذم، مشرق الوجه، تلوح عليه مخايل الشرف والكرم سيد جامع لكل خصال الخير، كأنما تتجسم الأصالة والجود على جبينه قد نال حب قومه وإعجابهم.

وهذا الوصف كما ترى وصف عام ليس فيه خصوصية ما، وهو وصف اعتاد الشعراء أن يطلقوه على الممدوحين ولكننا مع ذلك نحس بصدق الشاعر وحبه لآل نبهان.

وهذا المدح كما ترى لايخرج لا في شكله ولا في موضوعه عن الأطر التي جرى عليها المدح في الشعر العربي القديم خاصة القصيدة العباسية.

وإليك نموذجاً آخر يسير على نفس النمط ويحتفظ بنفس السمات وهو من قصدة لشاعر من شعراء القرن العاشر الهجري هو موسى بن حسين المشهور بالكيزاوي من قصيدة في مدح السلطان سليمان بن المظفر:[1]

هبت تغـرد من فـوق الأمالـيد ... تواصل السجع تغريداً بتغريد

مخضوبة الكف لم تنفك نائحة ... تردد الصـوت منهـا أي تـرديد

فأسعرت نار لوعاتي فبت لهـا ... مسهد الطرف مكحولاً بتسهيد

حتى توهمت أن النـار نـار أولي ... الأخدود لو بعدهم أصحاب أخدود

١- شقائق النعمان ج١ ، ص٦١ .

ياحادي العيس رفقا إنها إبل في الوخد رافقة بالخرد الغيد

ثم بعد أبيات يتخلص إلى المدح فيقول:

وقد تغنى مغنينا بمدح (م) سليمان المتوج رب البأس والجود

ممجد شاد بيتا لايزال مدى الأيام مجتدياً منه بتشييد

بيتا يشاد بكسب الحمد سامكه وبالثنا لا بآجر وجلمود

يا أيها الأصيد القرم الهمام ومن تأرث المجد من آبائه الصيد

خذ من هبات الليالي ما اصطفيت فقد ألقت لك اليوم أطواق المقاليد

وهكذا أنت واجد أن هذا المدح لايخرج عن الأطر القديمة وحتى مايبدو لنا من سمة التجديد في المطلع فإنه ليس كذلك فالاستهلال بمخاطبة الحمائم معروف في الشعر العربي، وكذلك فإن هذا المدح مدح عام ليس فيه خصوصية تميز الممدوح.

عموماً فيمكننا أن نقرر أن غرض المديح في الشعر العماني القديم يترسم ويجري في مجارى الشعر العربي القديم من حيث الشكل والموضوع والتناول.

ب- الغزل :

كما نعلم فإن الغزل تستهل به معظم القصائد الجاهلة حتى صار تقليداً وظاهرة بارزة، وقد فسر ابن قتيبة هذه الظاهرة بأن الشاعر يريد اجتذاب الأسماع واستمالة القلوب[1] وذهب بعض النقاد المحدثين إلي أن هذا الغزل إنما هو أصداء لتقاليد قديمة. [2]

إذ كانت العرب في جاهليتها الأولى تتوجه بالأشعار إلى الآلهة وربات الشعر، وتستهلها بالصلاة والمديح لتلك الألهة، فنسيت تلك العادة بتراكم الزمن وبقيت أصداؤها في ذكر المرأة بدلاً من الآلهة الأثنى في أوائل القصائد ، ومهما يكن التفسير فإن الشعر العماني قد

١- ديوان الستالي ص٣١٥

٢- ديوان النبهاني ص٢٥٥

سلك مسلك الشعر العربي، فالشعراء العمانيون في الغالب يجعلون الغزل وذكر الأحبة والأطلال في مقدمات قصائدهم وغزلهم لايخرج من الأطر العربية المعروفة والمقاييس الجمالية العربية القديمة في وصف المرأة والتغزل بمحاسنها وتشبيهها بالظبى والمهاة في حسن الجيد وجمال العيون وبالغصن في استواء القامة والرواء، وتشبيه شعرها بالليل ووجهها بالقمر، وأسنانها بالبرد، وريقها بالخمر...إلخ.

يقول الستالي في مقدمة قصيدة يمدح بها ذهل ويعرب ابني عمر بن نبهان [1]

أبدت عميرة صداً عن زيارتنا ... من بعد ماألزمتنا في الهوى علقا

إلا بطائف ذكرى قل ماذهب ... عني وطيف خيال ريما طرقا

قد أبرزت بدر تم في مجاسدها ... وهز هزت غصن بان فوق دعص نقا

تختال في غرر الريعان مائسة ... ميس القضيب تثنى ينفض الورقا

تريك أسود غربيباً إذا حسرت ... من الغدائر يغشى أبيضاً يققا

ولايخص الشعراء العمانيون غرض الغزل بقصائد مستقلة إلا نادراً ولكن هناك بعض الشعراء الذين اهتموا بالغزل واحتل مساحة واسعة من قصائدهم وعلى رأس هؤلاء الشعراء السلطان سليمان بن سليمان النبهاني، فإنك واجد في ديوانه الكثير من الأشعار الغزلية التي تتسم بالحرارة، وصدق العاطفة، خاصة في محبوبته التي تسمى راية، فربما كان يعبر عن حب صادق يقول:[2]

نعم ساور الهم الفؤاد فأبهرا ... ولج به البين المشت فأسهرا

وبان الذي ألوى بقلبك حبه ... أتصبر أم لم تان أن تتصبرا

علقت فتاة كالوذيلة كاعباً ... برهرهة ريا الروادف عبهرا

١- ديوان الستالي ص٢١٥

٢- ديوان النبهاني ص٢٥٥

من القاصرات الطرف غناء غادة يطيب رياها النصيف المعصفرا

إذا نظرت شاهدت بالرمل فرقداً أو التفتت عاينت ريما مذعرا

لها بشر لوبا شر الورد بعضه بناعمة بله الرياض لاثرا

ووجه إذا ما قابلت وهي سافر به الشمس خلناه من الشمس أنورا

وجيد كجيد العوهج الخاذل انتحت جبال الغضى ترعى عراراً ونوفرا

ونهد كحق العاج أملس ناعم حصان به صاك العبير فعفرا

وصدر منير كالسجنجل مشرق ثنا لونه الجادي بالنضح أصفرا

وترخي على المتنين أسحم فاحماً غدائره يحملن مسكاً وعنبرا

وتبسم عن حم المراكز نصع عذاب يحاكين الإقاح المنورا

وما قهوة صهباء صرف مزاجها معين زلال اللون ليس بأكدرا

ونشر يلنجوج يعل بعنبر يخالط مسكاً في الزجاجة أزفرا

بأطيب من فيها سحيراً إذا هفت نجوم الدجى بالغرب والليل أدبرا

فالغزل كما نرى في هذه الأبيات غزل حسي تقليدي يصف لنا شكل المرأة الظاهري ولايتعمق في وصف الدواخل من أحاسيس وعواطف، فكأن المرأة دمية أو تمثال يجرده الشاعر، ويصف لنا أجزاءه وهكذا تغلب الصورة المادية للمرأة في هذا الشعر، ويرجع ذلك إلى التأثر بالغزل الجاهلي لا في شكله وصوره، وإنما أيضاً في ألفاظه وعباراته فأنت واجد أن الشاعر يردد ألفاظاً جاهلية ويورد صوراً وتشبيهات قديمة كتشبيهه النهد بحق العاج فقديماً قال عمرو بن كلثوم:-

وثدياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسينا

وكتشبيهه الصدر بالسجنجل قال : امرؤ القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وكتشبيهه الجيد بجيد الغزالة، قال امرؤ القيس:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولابمعطل

ولولا الإطالة لأرجعنا تشبيهات النبهاني وصوره إلى مايقابلها في الشعر القديم، ويبدو أن هذا ليس من قبيل التقليد المحض وإنما هو من قبيل التأثر، فقد حفظ الشاعر تراكيب وصور الشعر الجاهلي وعكف علي استظهاره فصارت صور هذا الشعر وكلماته تتسرب إلى نظمه وصوره، فشخصية الشاعر وحرارة عواطف واضحة، فليس صنع النبهاني من فبيل التقليد المحض وإنما هو من قبيل التأثر وانظر أيضاً إلى غزل النبهاني في الأبيات الآتية:- [1]

شطت برايـة عنـا طيـة قـدد زوراء توهي قوى المهرية الأخذ
بيضاء كالشمس معطار خدلجة ريا الروادف لم تحمل ولم تلد
راد الوشاحين ملء الدرع بهنكة أذكت بقلبي نار الشوق والكمد
براقة الجيد خود طفلة جمعت مافي الغزالة من حسن ومن غيد
كأن ريقتهـا والفجر منصـدع ماءالغمام جرى رفقا على بـرد
أو قرقف من سلاف الخمر قد مزجت بذائب الثلج في الكاسـات والشـهد

وهكذا ترى أن فن الغزل عند الشعراء العمانيين يدور في فلك الشعر القديم.

ج- الرثاء :

الرثاء من الأغراض الشعرية القديمة في الشعر العربي يتجلى فيه الوفاء، ذلك لأنه غالباً مايصدر عن عاطفة صادقة وإحساس بالوفاء فإذا كان المحرك في شعر المديح هو الطمع فإن المحرك في شعر الرثاء هو الوفاء والصدق هذا إذا كان الشاعر ذا صلة ومعرفة بمن يرثيهم، ولكن احياناً قد يكون الرثاء متكلفاً خالياً من العاطفة وصدق الإحساس وذلك عندما لايعرف الشاعر المرثي، وإنما يكون قصده إرضاء ذويه من ذوي المكانة من حكام أو أمراء أو أثرياء.

١- ديوان النبهاني ص١٠٢

ولايخرج الرثاء في الشعر العماني في شكله وموضوعه عما نعرفه من الشعر العربي، فالشاعر يعدد فضائل الممدوح ويبين أثر فقده واللوعة والحزن التي خلفها ذلك الفقد، وقد يقف موقف العظة والعبرة من قضية الموت، يقول اللواح يرثي القاضي أبا عبدالله محمد بن سعيد.[1]

حزن يفـــور، ومهجـة تتقطـع وأسـى يجيش، وعـبرة تتريـع
وتأســـف متـردد، وتلـهف متصعـــد، وتـأوه وتوجـــع
وزفير أنفاس يـرددها الأسـى كادت تقد بها الحشـا والأضـلع
لمصـيبة كل المصائب عنـدها هانـــت ووقـع منيـة لاتدفـــع
هي ثلمة وقعت ولاجبـر لهـا هانـت ووقـع منيـة لاتدفـع
هي ثلمـة وقعت ولاجـبر لهـا أبـداً وشـنع مـكارم لايرقـــع
هذا هو الـرزء العظيـم وذا هـو الخطب الجسيم وذا النبـأ الأفظع

إلي أن يقول :

فالدين بعـدك يامحمـد هدمـت أركانـه والحلـم فهـو مضيـع
ضعضعت أركان الأباضـي والرجا بـك قد أشـيد وكـان لايتضعضـع
دفن التقى والعلم عندك والحجـى والمكر مـات ببطـن لحـدك أجمع

د- الفخر والحماسة :

ومن الأغراض التي تناولها الشعر العماني الفخر والحماسة ولايخرج مضمون هذا الغرض عن الفخر كما هو في الأدب العربي حيث نجد الفخر بالشرف وعراقة الأصل وعزة القبيلة، وكذلك الفخر بالكرم والشجاعة والنجدة وحماية الجار وإغاثة الملهوف.. إلخ، ولعل سيد الشعراء العمانيين في هذا المجال السلطان سليمان بن

١- شقائق النعمان ج١ ، ص٤٩

سليمان النبهاني وربما رجع سر تفوقه في هذا الفن إلى أنه ملك فهو عندما يفخر إنما يعبر عن إحساسه بعزة الملك وقوة السلطان يقول :[1]

وأنا ابن نبهان المتوج من بين هود النبي وذاك عيص واضح
أنا منهل الشعراء هذا باكر غاد علي وذاك عني رائح
أنا خير من ركب الجياد وخير من حمل النجاد إذا تنوب جوائح
سعد السعود على العفاة وانني لعلى طغاة القوم سعد ذابح
وعلى العدو حمام موت قاتل وعلى الصديق أب شفيق ناصح
بأسي تذل له النفوس وهمتي يعنو لرتبتها السماك الرامح

ويقول في قصيدة أخرى [2]

أنا فارس الخيل تحت العجاج إذا الكبش خام ولم يصبر
وأكرم في المحل من حاتم وأشجع في الحرب من عنتر
وأفرس من ركب الصافنات وأقدم ساط على عسكر
وقابض أرواح كل الكماة بيوم على الناس مستسعر

هـ – الوصف :

بالرغم من جمال الطبيعة في عمان وتعدد مظاهرها من جبال وصحاري وأودية ومروج إلا أننا نجد لذلك صدى كبيراً في الشعر العماني القديم، ومعظم ما ورد في شعر الوصف إنما يرد في ثنايا اللقصائد وقلما استقل الوصف بقصائد بعينها، يقول الشاعر سالم بن غسان اللواح من شعراء القرن التاسع الهجري يصف المطر:–[3]

ياعارضاً بات مثل العرق بارقة وتارة كخفوق القلب خافقة
وكلما افتر ثغر البرق مبتسماً بكى السحاب به انقضت صواعقه

١– ديوان النبهاني ص٩٢
٢– المصدر السابق ص١٢٥
٣– ديوان اللواح ص٢٦

وكلما ناوحت فيه الجنوب صباً همى من المزن بالريحان وادقه

وإن وفى الرعد تحدوه الجنوب فلم تنفـــك ترزم إزرامـا أيانقـه

فأوبل الوبل حيث الطل يقدمـه والودق طف وطاف الأكم غادقة

كأنما الأفـق يم ظـل مضطـرباً حيث الشمال بكفيهـا تصافقـه

كأنما الأرض يحليها السما دراً والروض وشياً قشيبات شبارقه

كأنما الروض قد لاحت كواكبـه تلامع اللوح مذ شاعت مشارقه

وفاح نشر الخزامى والعراربـه ونم ساريه وانشقت شقائقـه

من دونه المسك مفتوتاً تذيع به ريح القبول فعم الأرض عابقـه

ويقول السلطان سليمان بن سليمان النبهاني في وصف فرسه الغراب [1]

إن السـوابق كلهـا يقصـرن عن جـري الغـراب

قد سستـه فلـواً وقلـت له اسـبق الخيـل العـراب

صـافـي الأديـم كأنمـا يجـري بمتنـيـه السـراب

سـامى التليـل كأنمـا هاديـه جـذع من خضـاب

ومـؤلل الأذنيـن ساميـة وذو شـدق رحـاب

نهـدا المـرا كـل شـيظـم يخطـو عـلى صـم صـلاب

ومشـلل يسـتـن فـي آريـة سـنن العجـاب

رخـو اللبـان كأنمـا إرخـاؤه إرخـا ذئـاب

كالأجـدل الغطـريف فـي توثـابـه أو كالعقـاب

وانظر إلى هذه اللوحة التي رسمها لنا الستالي حين وصف روضة من الرياض[2]

١- ديوان النبهاني ص٦٢

٢- ديوان الستالي ص٢٣٨

وكريمـــة تشـدو بحســن ترنم صوت البسيط مجاوباً أوتارها

في روضة نسجت لها ديم الحيا خضر الحرير وضاعفت أستارها

طفقت بها مزن المصيف تعلها وبــلاً وطــلاً ليلهـــا ونهارهـــا

وغدت لها بنسيمها ريح الصبا عند الصباح وباشرت أشجارها

فتعانقــت أغصانهـا وتفتحـت عنهـا الكمـام فأبـرزت نوارهـا

أبـدت بنفســجها وآذريونهـــا متقابــلاً وشـقيقها وبهارهـا

وهكذا نجد أن هذا الوصف لايخرج عن المحسوس والمشاهد فليس فيه خصوصية أو توحد أو فناء في الطبيعة أو إسقاط للمشاعر عليها وإنما هو وصف ظاهري يصف الشيء كما هو في الواقع لاكما هو في إحساس الشاعر، وهو وصف لايخرج كثيراً عن إطار الشعر القديم.

و- الحكمة :

ومن الأغراض الهامة في الشعر العماني شعر الموعظة والحكمة وهي حكمة في الغالب مأخوذة من التأمل في الحياة واستخلاص العظة والعبرة من التجارب والأحداث فلا تستند الحكمة في هذا الشعر إلى الفلسفة العقلية وإنما تستند إلى التجربة الواقعية، وإلى الروح الدينية الإسلامية المتغلغلة في النفس العمانية وإلى المفاهيم القرآنية في الكون والحياة، يقول اللواح.[1]

الرزق مابين خلق الله مقسـوم والخلق صنفان مرزوق ومحروم

لاتجهد النفس للأرزاق في طلب شتان خال من الدنيـا ومهمـوم

وربمـا رزق العصفـور جائـزة بها يعيش وأحـر من القشـاعيم

والمرء في حالة الدارين محتكم وكـل ما قـدر الرحمـن محتوم

ويقول النبهاني في مقصورته . [2]

١- ديوان اللواح ص٢٧٣

٢- ديوان النبهتني ص٣٦

والمـــــرء لاينفعـــه مالـــــه إلا الـذي قدم فـي سـبل الـهدى

وكل ذي عيش سـيفني ماخـلا ذا العرش والفعل الجميل والثنـا

من أخـذ الصـــدق له ســفينة وفـوض الأمر لذي الطول نجا

من جعـــل الأفـــك له مطيـة ألقته في قعر الحتوف والثرى

من استشار غير ذي عقل هوى ولم ينـل من قصـده غيـر العنا

من خاض عشر الأربعين عمره ولم يـزغ عـن غيـه فقـد غـوى

ز- الشعر الديني :

ومن الأغراض البارزة في الشعر العماني الديني الذي يعبر عن الأحاسيس الوجدانية والنزعات الروحية الإسلامية وقد احتل مدح الرسول ﷺ وسرد سيرته ومدح أصحابه رقعة عظيمة المساحة في الشعر العماني، وكذلك المواعظ والأذكار وليس الشعر العماني بدعاً في ذلك فإننا نجد منذ القرن العاشر احتلت المدائح النبوية والتوسلات الدينية جزءاً بارزاً من الشعر العربي فقد تعرض العالم الإسلامي لويلات ونكبات وغزوات فكان الناس يجدون سلواهم في مدح الرسول ﷺ ولعلهم بهذا يعبرون عن إصرارهم على التمسك بالعقيدة الإسلامية وعزمهم على مقاومة الكافرين وجهدهم لغرس القيم الدينية في النفوس وصمودهم للهجمات التي تشن من قبل الكفار. فالشعر الديني يعبر عن المقاومة الفكرية لأعداء الإسلام ورفض السير في ركابهم والتبرؤ منهم وتجد في ديوان اللواح الكثير من القصائد التي تعبر عن ذلك فقد صاغ العديد من الأذكار في قصائد طويلة يقول في قصيدة عنوانها استغفر الله والحمد : [1]

استغفر الله من قولي ومن عملي ونيـتي بخـلاف الطـوع لـلأزل

استغفر الله من ترك الولاية للباري وللطائعيـــه الكـــل والرســـل

١- ديوان اللواح ص٩٠

استغفر الله من طوعي وتوليتي إبليس والتابعيه جملة السفل
استغفر الله من تركي الفروض ومن تهاوي سنن المختار والنفل
استغفر الله من غطي الصلاة ومن عفطي الصيام ولاحجاً على عجل
استغفر الله من تركي الزكاة ومن عطيتها من ولاة الجور والدغل

ويمضي هكذا في القصيدة إلى البيت الخامس عشر ثم يبدأ الأبيات بعد ذلك بحمد الله فيقول:

الحمد لله أنشأني وصورني من صلب آدم من طين ومن عجل
الحمد لله إن الله أوضح لي نهجاً إلى دينه من أوضح السبل
الحمد لله إن الله عرفني وجارني بنبي سيد الرسل
الحمد لله أهداني لملته البيضاء خالصة من أطهر الملل

ويمضي هكذا في ابتهالاته حتى آخر القصيدة، ولعل أبا مسلم البهلاني في توسلاته وقصائده قد نظر إلي اللواح.

وبعد الابتهالات نجد مدح الرسول ﷺ وسرد معجزاته يقول اللواح من قصيدة طويلة في مدح الرسول ﷺ : [1]

محمد خير المرسلين أخيرها وأولها في الفضل وهو وحيدها
بمولده قد اخمدت نار فارس ولولاه لم يسند صحيحاً خمودها
وإيوان كسرى قد تساقط بعدما باعلامه ينبيهم من يرودها
وفي كفه عين من الماء قد جرت نميراً وكان القوم منها ورودها
وشق له البدر المنير وظللت على رأسه بيض الليالي وسودها
وكم آية تترى له أثر آية يفوت عديد الرمل طراً عديدها
ومعجزة أعيت وما اسطاع نقلها سواه إليهم والإ له شهيدها
فسبحان من أسرى به بعد هجعة إلى حضرة منة قريب بعيدها
ففاء وقد أعطى الرسالة راقياً مطارح قد كان منه يريدها [2]

١- ديوان اللواح ص٢٥٦

٢- لعل الشر مطارح قد كان الاله يريدها

ويقول الشيخ محمد بن سعيد بن راشد بن محمد المعولي من شعراء القرن الحادي عشر الهجري [1] من قصيدة يمدح بها الرسول ﷺ :

خير مدح في خير كل البرايا أحمد قائد لنهج الطريق

وارتقى في السماء عن كل ختار عنيد سماعلى العيوق

خصة الله بالضياء وبالرحـ مة ثم القرآن والتصديق

وكفاه الإله كل خسيس فحمى الدين بالحسام الفتيق

وحماه الإله عن كل مختال فخور بالأمن والتوفيق

وكذلك نجد في الشعر العماني ومضات صوفية تعكس أشواقاً نحو الكعبة والحجاز وتتميز بالشفافية والرقة والرمزية انظر إلى أبيات اللواح التي يتشوق فيها إلى الكعبة ويرمز إليها بليلى، يقول في قصيدة عنوانها البرق الحجازي. [2]

ألا من لصب لاتجف دموعه ولم يهنه مما يعاني هجوعه

يبيت يراعي النجم حتى مغيبه ويرقبه حتى يحين طلوعه

له زفرات زفرة إثر زفرة إذا صعدت كادت تقد ضلوعه

إذ ذكرت ليلى تأثف شوقه وإن نص عنها الركب زاد ولوعه

وإن لمح البرق الحجازي زاده جوى والتياعاً وارتياعاً لموعه

أنا الواله المضني لليلى وذو الهوى مثالي ولو مر النسيم يروعه

ج- الشعر التعليمي :

ومن الأغراض البارزة في الشعر العماني والتي تميز هذا الشعر من غيره الشعر التعليمي أو التأليفي، وهذا الغرض غرض قديم في الشعر فقد نظم عليه الأدباء منذ العصر العباسي الأول، ومنظومة ابن مالك الألفية مشهورة في هذا المجال ولكن

١- شقائق النعمان ، ج١ ، ص٧٠

٢- ديوان اللواح ١٩٣

علماء عمان قد تأتي لهم في هذا المجال ما لم يتأت لغيرهم، قد نظموا آلاف الأبيات وتناولوا العديد من العلوم وألفوا نظماً العديد من المجلدات.

نكتفي بهذا القدر ولعلنا نكون قد أعطينا صورة موجزة وتعريفاً كافياً بخصائص الشعر العماني القديم وأغراضه.

ونتناول بالدرسة أبرز الشعراء العمانيين القدماء وهم :

الستالي ، سليمان النبهاني، اللواح.

الستالي : شاعر بني نبهان

مولده ونشأته :-

ولد الشاعر أحمد بن سعيد الخروصي في وادي بني خروص في بلدة يقال لها ستال، وقد نسب إليها وغلبت هذه النسبة عليه، ترعرع الستالي في بلدته هذه وتلقى مبادىء القراءة والكتابة والقرآن وعلوم العربية بها.

أما تاريخ ميلاد الستالي فيذهب الأستاذ عز الدين التنوخي الذي حقق ديوان الستالي إلي أنه كان سنة ٥٨٤هـ وأن وفاته كانت ٦٧٦هـ [١] .

ولكن هناك قصائد في ديوان الستالي مؤرخة بفترات مختلفة عن هذا التاريخ تشكك في التاريخ الذي قرره محقق الديوان، ذلك أننا نجد داخل الديوان قصيدة في رثاء السلطان أبي محمد بن عمر بن نبهان تاريخها ٤٧٤هـ أي قبل مولد الستالي بنحو عشر سنين ومائة . [٢]

وهناك قصيدة رثاء أخرى مؤرخة سنة ٥٥١هـ وأخرى يعزي فيها الشاعر السطان محمد بن عمر في وفاة والدته مؤرخة في سنة ٥٠١هـ وقصيدة أخرى يمدح فيها الستالي السلطان ذهل بن عمر وتاريخها ٥٥٩هـ . [٣]

وهذا الاضطراب والتضارب في تاريخ القصائد دفع أحد الباحثين العمانيين المحدثين وهو الأستاذ: سالم بن علي بن سالم الكلباني [٤] إلى الذهاب إلى أن الستالي عاش في القرن الخامس الهجري وإلى أنه مضى على وفاته تسعمائة سنة وذلك استناداً على تاريخ هذه القصائد وهذا في نظري ترجيح غير سليم، إذ أن تواريخ القصائد مختلفة ، ومتضاربة ومجرد ذكرها لايدل على صحتها إذ ربما كان الأمر من أخطاء النساخ كما نميل إلى ترجيحه.

١- انظر مقدمة ديوان الستالي، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي، دمشق ١٩٦٤م ، شقائق النعمان ج١، ص٣٥ .

٢- ديوان الستالي ، ص٢٥٩ .

٣- ديوان الستالي ، ٣٧ - ٢٨٣ .

٤- أنظر مقالته عن الستالي في حصاد المنتدى الأدبي، اصدار ٨٩ / ١٩٩٠، ص١٧ .

نحن نرى أن ما ذهب إليه الأستاذ عز الدين التنوخي وهو أن الستالي ولد سنة ٥٨٤ وتوفي سنة ٦٧٦هـ هو الصحيح، وذلك للأسباب الآتية:

أ- إن معظم شعر الستالي- كما نعلم- إنما هو في مدح سلاطين آل نبهان وقد وردت في الديوان أسماء لبعض هؤلاء السلاطين الذين مدحهم الستالي، فلو استطعنا أن نحدد تاريخ بعض من قيلت فيهم هذه القصائد لاستطعنا أن ندرك على وجه التقريب الفترة التي عاش فيها الستالي ولايخلو الأمر من صعوبة، ذلك لأننا نجد المصادر العمانية تتجاهل فترة سلاطين بني نبهان ولاتهتم بإيراد تفاصيل تاريخهم خاصة الأوائل منهم، يذكر صاحب كتاب كشف الغمة أن الإمام محمد بن خنبش مات سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ثم يذكر بعد ذلك الإمام مالك بن الحواري، الذي عقدت له الإمامة سنة ٨٠٩هـ أما مابين محمد بن حنبش ومالك بن الحواري وهي فترة تزيد عن مائتي عام فيقول عنها صاحب كتاب كشف الغمة «هذه مئتا سنة وبضع لم أجد فيها تاريخاً لأحد الأئمة، فالله أعلم أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة أو غابت معرفة أسمائهم عنا» [١]

ويرى الشيخ السالمي أن هذه الفترة كانت فترة ملوك بني نبهان «وهم قوم من العتيك صار الملك إليهم بعد الأئمة السابقين» [٢]

ويقول صاحب كتاب تاريخ أهل عمان عن فترة ملوك بني نبهان :- [٣]

(ولعله كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنبش ومالك بن الحواري)

١- كشف الغمة تحقيق أحمد عبيدلي ص٣١٥ .

٢- تحفة الأعيان ، ج١ ، ص٣٥٢ .

٣- تاريخ أهل عمان، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح، وزارة التراث ، عمان ١٩٧٠م ص٩٧ .

ويحدد الشيخ محمد بن راشد الخصيبي بدء دولة بني نبهان فيقول : [1]

وبناء على ماتقدم فإن دولة بني نبهان تكون بدايتها بعد وفاة الإمام محمد بن خنبش سنة ٥٥٧هـ وعليه فلاشك أن تاريخ القصيدة التي رثى بها الستالي السلطان أبا محمد بن نبهان وهو سنة ٤٧٤هـ خطأ إذ لايعقل أن تكون هذه القصيدة قد قيلت قبل قيام الدولة النبهانية بنحو ثلاث وثمانين سنة.

وإذا رجعنا إلى الديوان فإننا نجد أن من الذين مدحهم الستالي من ملوك النبهانة كهلان ومحمد ابني عمر بن نبهان وذلك بقصيدته التي مطلعها : [2]

مابال أسد الشرى تصيدها بين ظباء الأنيس نهدها

كم حكم الهوى على مهج عاصية فيه من يفندها

إلى أن يقول :-

فإن كهلان من بني عمر رئيسها كلها وسيدها

أبو المعالي أعزهم شرفاً أكرمها منصباً وأجودها

ولحسن الحظ فإن المصادر العمانية القديمة تشير إلى بعض الحوادث التي كانت في عهد هؤلاء السلاطين، يقول صاحب كتاب كشف الغمة «وأصاب الناس غلاء كثير وذلك في دولة السلطان عمر بن نبهان سنة أربع وسبعين بعد ستمائة».

ويورد نصاً آخر يشير فيه إلى خروج أمير هرموز محمد بن أحمد الكوشي إلى عمان وكان المتولي لعمان يومئذ أبو المعالي كهلان وأخوه عمر وذلك سنة ٦٦٠هـ[3] .

١- شقائق النعمان

٢- ديوان الستالي ص١٦٨

٣- كشف الغمة ص٣١٦ - ٣١٧

ويقول الشيخ السالمي: «وفي دولة أبي المعالي كهلان بن نبهان وأخيه عمر بن نبهان في سنة ستين وستمائة خرج أمير من أمراء هرموز يسمى محمد بن أحمد الكوشي فوصل إلى قلهات وطلب وصول أبي المعالي إليه.. [1]

إذن فإن أبا المعالي كهلان وأخاه عمر كانا سلطانين على عمان سنة ٦٦٠هـ وقد مدحهما الستالي، ولهذه الأسباب فنحن نرجح صحة ماذهب إليه محقق الديوان من أن الستالي ولد سنة ٥٨٤هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ.

ولانعرف الكثير عن نشأة الستالي الأولى ولاعن أسرته فإن المصادر العمانية تسكت عن ذلك وكل ماهنالك هو أنه من قبيلة بني خروص، وقد ولد في بلدة ستال الواقعة بوادي بني خروص. وهناك رواية ضعيفة تذهب إلى أن الستالي نبهاني من محلة شاور بنزوى ذكرها الشيخ محمد بن راشد في هامش كتابه شقائق النعمان عند ترجمته للستالي بصيغة التضعيف فقال : قيل إنه نبهاني ويرجح الشيخ محمد بن راشد أنه خروصي ولذلك يقول في منظومته: [2]

والســـتالي أحمـــد بن ســـــعيد من خروص أهل المعالي الهداة

وقد تلقى الستالي المباديء الأولى للقراءة والقرآن كما أسلفنا في بلده ستال ثم تنقل في البلاد يطلب العلم وبرع في الشعر فمدح ملوك بني نبهان وراجت بضاعته عندهم، فسافر من بلده ستال إلى بلاطهم بنزوى في زمن السلطان ذهل بن عمر الذي خصه الشاعر بالكثير من مدائحه، وقد قصر الشاعر معظم شعره على مدح بني نبهان ولعله في ذلك يحتذي زهيرا الذي خص بمدحه الحارث بن عوف وهرم بن سنان أو النابغة الذبياني الذي قصر شعره على الملوك وترفع عن مدح العامة.

١- تحفة الأعيان ، ج١ ، ص٣٥٣-٣٥٤ .

٢- انظر شقائق النعمان ، ج١ ، ص٣٤ .

أما عن البيئة العامة في عصر الستالي فإننا لانملك أية معلومات عن ذلك فقد قلنا من قبل إن المؤرخين العمانيين يتجاهلون هذه الفترة، وأن هناك معلومات قليلة عنها وأن الستالي يعتبر من المصادر الهامة لأخبار دولة النباهنة، يقول الشيخ السالمي : «ولم نجد لدولتهم تاريخاً ولا لملوكهم ذكراً إلا من ذكره الستالي منهم في ديوانه» [1] .

وقد ذكر الستالي أسماء العديد من ملوك بني نبهان ومدحهم بقصائده مثل أبو عبدالله محمد بن عمر بن نبهان وأخوه وأبو الحسين أحمد وأخوه أبو محمد نبهان وأبو عمر معمر وأبو القاسم علي بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان، وأبو الحسن ذهل بن عمر، وأبو العرب يعرب، وأبو ابراهيم بن ابي المعمر عمر بن محمد بن نبهان، وذكر من أولادهم: أبا عبدالله محمد بن عمر، وأبا المعالي كهلان بن محمد وأبا عبدالله محمد بن أحمد بن عمر، وأبا محمد نبهان بن ذهل.

إذن فإن شعر الستالي يعتبر من المصادر الهامة لأخبار دولة النباهنة المتقدمة ومن خلاله نستشف بعض أحوال هذه الدولة.

٢- شعره :

كما أسلفنا فإن معظم مالدينا من شعر الستالي يدور حول مدح ملوك بني نبهان، ولذلك فإذا أردنا أن نتبين ملامح شخصية الستالي من خلال شعره فإننا لانستطيع أن نتبين تلك الشخصية بصورة كاملة، وبملامح واضحة، ذلك لأن شاعر المديح غالباً ما ينسى شخصيته ويصرف جهده لإرضاء ممدوحيه، إلا بعض الشعراء الحول الذين اتسموا بقوة الشخصية كأبي الطيب المتنبي مثلاً، ولعل للستالي شعراً آخر لم يصل إلينا تتضح فيه معالم شخصيته، وعلى كل فإننا نستطيع أن

١- تحفة الأعيان ، ص١ ، ٣٥ .

تستخرج بعض الاشارات التي توضح لنا بعض صفاته الشخصية والنفسية، وذلك من خلال دراستنا لاغراض شعره.

٣- اغراض شعر الستالي:

من أهم الأغراض التي تناولها الستالي في شعره المدح والغزل والرثاء وسنحاول أن نلقي بعض الأضواء على هذه الأغراض ونبدأ بالمدح.

أ- المدح :

ينظر بعض النقاد في العصر الحديث إلى شعر المدح نظرة غير منصفة، إذ يعتبرون المديح غرضاً مبتذلاً يقوم على النفاق وأنه يعبر عن طبقة معينة في المجتمع هي طبقة الملوك والأمراء والسادة، ولايعبر عن حياة الشعب وتطلعاته، وأن الدافع إليه هو الطمع في الهدايا والهبات، ولذلك يفتقد الصدق. ولكن هذه النظرة نظرة غير دقيقة فلاينبغي أن نحاكم القدماء من خلال مفاهيمنا النقدية الحديثة ونظرتنا الفكرية الحاضرة، وإنما ينبغي أن ننظر إليهم من خلال بيئاتهم وتاريخهم ومفاهيمهم.

وغرض المديح من أكثر الأغراض سعة في الشعر العربي، فالشاعر العربي يجعل من ممدوحه قمة سامقة ومثلاً أعلى ورمزاً للكمال، فهو يجسد فيه صفات البطولة والمثل الأخلاقية الكريمة، فالشاعر عندما يمدح إنما يرسم النموذج المثال لما ينبغي أن يكون عليه القائد والبطل وقد تصدق هذه الصورة على الممدوح وقد لاتصدق. فالمدح إنما هو تمجيد للصفات الخيرة كالكرم والشجاعة..إلخ، وتجسيم لها في شخص الممدوح وحض للناس على التخلق بها وقديما قال أبو تمام :

ولولا خــلال سـنها الشعر ما درى بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

ومعظم شعر الستالي في مدح بني نبهان، وقد قصر شعره عليهم فلم يسقط في حضيض الابتذال والتزلف، وإذا أخذنا قصيدته النونية المشهورة التي يمدح فيها

يمدح فيها أبا القاسم بن عمر بن نبهان ويهنئه بعيد الفطر المبارك كنموذج لمديحه فإننا نجد أنها تبدأ بالغزل ثم يتخلص الشاعر بعد ذلك إلى المديح، وهو هنا لايسلك سبيل القصيدة الجاهلية التي تبدأ بالوقف على الأطلال والتغزل بالمحبوبة ثم وصف الرحلة والناقة وتشبيهها بحيوان من حيوانات الصحراء السريعة كالغزال والنعامة مثلا ثم يستطرد في وصف هذا الحيوان المشبه به ثم بعد ذلك التخلص إلى الغرض الذي من أجله نظمت القصيدة، كلا وإنما يسلك منهج القصيدة العباسية كما نجدها عند أبي تمام والبحتري.

ومعاني الستالي لاتخرج عن الأطر العربية المعروفة في الشعر العربي القديم فهو يجعل الممدوح يعلو على أقرانه من الملوك وأنه كريم جواد وشجاع حازم وقد يمدحه بعراقة الاصل وشرف المحتد، وبذكر مفاخر آبائه وأجداده ، يقول الستالي في مستهل القصيدة: [1]

قصرن الخطا وهززن الغصونا ورقرقن تحت النقاب العيونا

وفلجن كالأقحوان الثنايا وكحلن بالسحر منها الجفونا

ويستمر على هذا النحو في الغزل ثم يتخلص منه إلى المديح:

رحلنا الركائب من ذات جوس تجوب الفلاة وتطوي الحزونا

إلى سيد من ملوك العتيك يفيد الألوف ويعطي المئينا

أرحنا مطايا وزرنا علياً أبا القاسم المكرم الزائرينا

أبا القاسم المال سراً وجهراً غدواً عشياً على المعتفينا

كريم السجايا جزيل العطايا يروى الجود والحلم عزماً ودينا

بفعل الجميل وبذل الأيادي اتته المعالي بكوراً وعونا

وجدنا علياً أعز نديا وأندي يميناً وأبهى جبينا

١- ديوان الستالي ص ٤١٤

وهكذا أنت واجد أن شعر الستالي في المدح إنما هو شعر عربي يسير وفق تقاليد قصيدة المدح كما وضعها الشعراء القدماء، ولاتخرج معاني مدحه عن هذه المعاني فهو يمدح بعراقة الأصل ونجد هذا في كثير من قصائده يقول مادحاً ذهل بن عمر ومهنئاً له بالعيد :- [1]

من آل نبهان الذين نعدهم ... من أكرم السادات والأمراء
يسمو على شرف العتيك وينتمي ... للأزد أهل العز والنعماء
عرفوا بضرب الهام أو طعن العدى ... يوم الوغى في الغارة الشعواء

ويقول في قصيدة أخرى : [2]

إذا حلت الأملاك في فلك العلا ... فأنت لها في كل مكرمة قطب
وأنت عزيز الجار ممتنع الحمى ... لديك الفناء السهل والمنزل الرحب
وبيت عتيكي تدافع دونه ... من الأزد أبطال غطارفه غلب
عتاق المذاكي والرماح عماده ... وأطنابه يوم الوغي الطعن والضرب

ويقول في قصيدة يمدح بها يعرب بن نبهان : [3]

وإن سما يعرب بالأزد مفتخراً ... يوما فما شئت من مجد ومن حسب
أولئك السادة الأملاك من يمن ... أهل الأسرة والتيجان والرتب
غر محاسنهم سارت فعائلهم ... بين المحافل بالأشعار والخطب
لايقدر الناس إلا الاعتراف لهم ... بفضلهم في الرضا منهم وفي الغضب

وهكذا نراه يمدح بني نبهان بعراقة الأصل ويمدح الأزد بالشجاعة والقوة، ويفخر بكل من ينتمي إلى الأزد كالأوس والخزرج الذين نصروا النبي ﷺ

يقول مادحاً يعرب بن عمر : [4]

١- ديوان الستالي ص١٠
٢- المصدر السابق ص١٥
٣- المصدر السابق ص٢٠
٤- المصدر السابق ص٣١

من العتيك اليمانين الذين بهم تبوأ الأزد بيت العز في العرب
وجاهدوا معه أهل الضلال معاً حتى أجاب له من لم يكن يجب
فعز في الأرض دين الله وانتشرت أعلامه واتى بالمعجز العجب
وكان فخرهم للأزد قاطبة ينساق من عقب منهم إلى عقب
حتى انتهى لبني كهلان مجدهم وفخرهم منهم للأزد كالقطب

ونجده يردد ذلك في كثير من مدائحه.

ونجد الستالي يمدح ممدوحيه بالشجاعة والكرم وإغاثة الملهوف وحماية الجار ونصرة الضعيف..إلخ، وهذه هي المعاني التي تمدح بها الشعراء العرب القدماء. يقول في مدح أبي القاسم النبهاني : [1]

أصبح المجد والمكارم قسماً لأبي القاسم الجواد الوهوب
كل يوم يأتي بحسن بديع من سجياته وفضل غريب
وثواب للأولياء مصيب وعذاب على العدى مصبوب
والعفاة المجاورون لديه أبداً منه في زمان خصيب

ويقول مادحاً أبا عبدالله محمد بن عمر بن نبهان : [2]

فتى للمال متلاف بذول وللعلياء طلاب كسوب
ربيط الجأش مقدام جريء طويل الباع بسام وهوب
فما في سعيه المشهور عار ولافي فعله الموجود حوب
يشيد بفضله في كل أرض لسان بالثناء له غريب

ونراه يمدح أبا العرب يعرب بن عمر بالعبادة والعلم والمذاكرة ومجالسة أهل الحكمة والتواضع فيقول : [3]

لكنه رزق التواضع والنهى والنسك والإخلاص في محرابه

١- ديوان الستالي ص ٣٦
٢- المصدر السابق ص٤١
٣- المصدر السابق ص٤٦

وإذا أردت العلم منه فإنه من أهل موضعه ومن طلابه
طوراً تراه مذاكراً لجليسه حكم الملوك وتارة لكتابه
أهل الحجى والدين من قرنائه وأولو النهى والحق من أصحابه
وإذا المؤمل زاره لمهمة لم يلقه متوارياً بحجابه
وإلى العتيك أبو المعالي ينتمي وإلى ذرا قحطان من أسبابه
وإذا تفاخرت الملوك فإنه يعلو ويسمو في عزيز نصابه
بالأزد أنصار النبي تفقهوا في دينه وهدوا بنور شهابه
بذلوا له أموالهم ونفوسهم حتى استقر الحق في أربابه

وهكذا نجد معاني الستالي تدور حول الأطر والمعاني القديمة للمدح كما هي، موجودة في الشعر العربي القديم.

ولشعر الستالي في المدح قيمة أخرى فهو يسجل لنا أسماء السلاطين من ملوك، بني نبهان، كما يسجل لنا بعض العادات التي كانت سائدة في ذلك البلاط، فقط كان، الأمير لايحتجب عن أصحاب الحاجات، وكانت له مجالس للجد واللهو، كما يبدو أن، دولة بني نبهان كانت دولة ترف وقصور وجوار ومجالس للهو فهي أقرب إلى، الإمارات العربية التي كانت في الشام والعراق منها إلى دولة الأئمة ذات الروح الدينية والصبغة الإسلامية القوية، والإلتزام بتعاليم الإسلام، ومن ثم لم يتورع الستالي من وصف الخمر ومجالس اللهو في أكثر من قصيدة من قصائد مدحه.

فشعر الستالي يمكن أن يكون مجالاً للدراسات الاجتماعية ومصدراً من المصادر التاريخية لتلك الفترة المجهولة في التاريخ العماني.

ب- الغزل :

من أهم الأغراض التي تناولها الستالي بعد شعر المدح الغزل ولانجد للستالي قصائد مستقلة لهذا الغرض، ولكنه كعادة الشعراء يستهل قصائده بالغزل

والنسيب، وغزل الستالي غزل حضري فيه رقة وحلاوة، وليس غزلاً تقليداً متكلفاً يخلو من حرارة العاطفة بل نجد غزله مليئاً بالحرارة يفيض بالعواطف الجياشة. ونجده دائم التذكر لفترة الصبا ويعتبرها من أسعد لحظات عمره، يجد فيها السعادة والهناء فهو يذكرها بحرارة ويعود إليها كلما اشتدت أحزانه ليجد فيها السلوى والعزاء. ويبدو أنه كان جميل المحيا أبيض اللون ذا شعر أسود يخلب جماله وشبابه وفتوته العذارى، ولذلك نجده يردد ذكر الشباب وأيام صباه في كثير من قصائده يقول : [1]

ما كان أحلى لياليلات لنا سلفت ... وللزمان بنا حسن وغضراء

ونحن في عنفوان العيش يجمعنا ... تواصل وبطالات وأهواء

عشنا بذلك حيناً في رفاهية ... يضمنا في الصبا لهو وسراء

أيام لي بشرات لونها يقق ... ولمة في عيوان البيض سوداء

ويقول في قصيدة أخرى: [2]

ياحبذا عهد الجميع وعيشنا ... بالأنس بين جآذر وظباء

والشمس طالعة لنا بأكله ... والبدر يشرق من خلال ضياء

والغانيات نصيدها وتصيدنا ... بحبائل الشهوات والأهواء

ويقول: [3]

وضع الشيب في سواد عذاري ... فثنى سورتي وكف جماحي

غير باق صبابة وادكار ... واشتياق إلى الحمى وارتياح

عند لمع البروق والليل داج ... ونسيم الصبا أوان الصباح

وإذا غرد الحمام ضحاء ... خفق القلب كاختفاق الجناح

١- ديوان الستالي ص٢

٢- ديوان الستالي ص٧

٣- المصدر السابق ص ١٠٣

فالشاعر كما نرى يجد العزاء كل العزاء في أيام الشباب، ولكن أنى له بالشباب، الذي مضى ولن يعود، حسبه الذكرى ومع ذلك فإنه يملك قلباً بين جنبيه يترع إلى، اللهو وحب الحسان، ويصور لنا الستالي في أكثر من قصيدة هذا الصراع الذي، يدور في أعماق نفسه بين مايتطلبه الشيب من وقار وإعراض عن نوازع اللهو وبين، رغبات قلبه الجامح الذي يتطلع إلى الحسان وخواطره التي تهفو إلى الحب، ولكن، الشاعر يملك نفسه ويسيطر على خواطره وقد يفلت منه الزمام، فتند منه نظرة إلى، الحسان يسترها بردائه أو يستبد به الشوق والحنين فيذرف الدمع على ذلك الزمان، الذاهب يقول : [1]

وإذا تذكرت الأحبه والصبا نهنهت عيني أن تفيض بماء

ولربما خطرت بقلبي خطرة للحب قلت لها اخسئي بحياء

وإذا سواد العين هم بنظرة نحو الحسان رددتها برداء

ولكنه مع ذلك يجد النشوة والراحة في تلك الذكريات ويشعر كذلك أنه وإن، استطاع أن يكبح نفسه وأن يغض طرفه ويكتم خواطره فإنه لايملك زمام قلبه، يقول: [2]

عللاني على اعتدال المشيب بحديث الصبا وذكر الحبيب

إن تكلفت غض طرف جموح كيف اسطيع كف قلب طروب

فهو إذا ميال في أعماق قلبه إلى الصبا واللهو ولايمنعه من إظهار مشاعره إلا وقار السن والتقى يقول : [3]

كبرت والبيض واللذات من أربي حتى كأني لم أكبر ولم أشب

لولا التقى وجميل الصبر ما وجدت مني الأوانس غير اللهو واللعب

١- ديوان الستالي ص٨

٢- ديوان الستالي ص٣٢

٣- المصدر السابق ص٢٦

ويقول في قصيدة أخرى : [1]

وما المشيب وإن راعتك صبغته بمانع من وصال الخرد العرب
في صاحب الشيب أخلاق مهذبة من المروءة والتجريب والأدب

ويقول : [2]

هجر الحسان وهن من آرابه وأراق لما راق كأس شبابه

وهكذا نجد أن الستالي وإن سلك المنحى التقليدي في غزله إلا أن هناك لهذا الغزل حرارة تعبر عن عاطفة فياضة وليس هو بالشعر المتكلف الذي يوضع في مقدمة القصائد لاجتلاب إصغاء الاسماع.

ج- الرثاد :

ومن الأغراض الهامة في ديوان الستالي وإن كانت قليلة جداً الرثاء وإذا كان المدح هو ذكر محاسن الحي، فإن الرثاء ذكر محاسن الميت، وإذا كان الباعث على المدح الطمع فإن الباعث على الرثاء والوفاء والعرفان، والستالي في مراثيه القليلة نجده يتخذ منها مجالاً للتأمل في قضية الموت موضحاً العظة والعبرة ويودع مراثيه خلاصة تجاربه ونظرته إلى الحياة يقول في رثاء السلطان أبي محمد بن عمر بن نبهان : [3]

هي النفس من ذكر الممات نفورها مخافة مكروه إليه مصيرها
وما أمنها ما خوفها في حياتها من الموت إلا برها وفجورها
ولو حسن استعدادها لوفاتها لهان لذكراها عليه حضورها
من اتخذ البرهان والفحص عدة تبين ماحق الأمور وزورها
وتفجأ بالروعات منها عقولنا ويلقي قليل الارتياع جذروها
عرفنا من الدنيا زوال نعيمها فما يدعى مختالها وفخورها

١- المصدر السابق ص٢٨
٢- المصدر السابق ص٤٢
٣- ديوان الستالي ص ٢٥٩

إلى منتهـــى أعمارنـا فطويلها سواء إذا وافى المدى وقصيرها

ومستمتعات العيش من غير حلها عـواري مغرور بهـا مسـتعيرها

أحاول في دنياي زهداً وكيف لي بـه ومـرادي أن يتـم سـرورها

ونجعـــل للأيـام ذنبـاً بغـدرها ونزعـــم أنـا يطبيـنا غـرورها

متى غالب الدنيا من الناس عاقل بداهيـة لم يـأت عنهـا نذيـرها

وفي كل يـوم لايـزال محـذراً رواح المنـايا بينـنا وبكورهـا

كذلك أبناء القرون التي مضـت ألم تتبيـن كيـف آلـت أمورهـا

تعاورها ريب الزمان فأصبحت خراباً قراها خاويات قصورهـا

ويقول في قصيدة أخرى : [1]

ونحـن نسـر بالدنيـا كأنـا أمنـا ما تسـر بـه الغيـوب

غرير النـاس أكثرهـم نعيمـاً وأشقى الناس في الدنيا اللبيب

مراقبـة العقـول نهـى وحلـم ويصفو الوصل ماغفل الرقيب

وعيـش منتهـاه إلـى زوال وغايتـه الأذى فمتـى يطيـب

تسـير بنا إلى الأجـل الليالي ونحـن بنـا السـآمة واللغوب

وللستالي مرثية تفيض أسى ولوعة في امرأة تسمى زاد المال وقد ورد اسمها في القصيدة ولعل هذه المرأة كانت جارية له إذ نراه يقول : [2]

خليلي زاد المال لم ينسني اسمها من الغانيـات زينـب ولميـس

وكل الذي عندي من المال بعدها لعيني وقلبـي ناقـص وخسيـس

فهو كما ترى يجعلها مالاً.

١- ديوان الستالي ص٣٨

٢- ديوان الستالي ص٢٦٥

يبدأ الشاعر قصيدته بالتحسر فكلأ اللذات أضحى يبساً بعدها وربع الهوى صار مقفراً دريساً وولت أزمنة العيش الرغيد وجاء زمان الحزن والكرب وازداد النحس بفراق هذه المحبوبة ثم يبين ما أحس به من فقد فقد ذهبت المسرات والنعم بذهاب هذه المرأة ثم يصفها ويبين أن كل ماعنده ناقص وخسيس وأنه لم ينسه ذكرها زينب ولميس، ومهما حاول ان يعلل نفسه بالأباطيل فإنه يجد اللوعة مستعرة في قلبه، ثم يتمنى أمنية عجيبة إذ يتمنى أن لو كان اغتالها كاشح أو عدو إذا لوجد فرصة للتنفيس عن نفسه بالإنتقام من هذا العدو ولحاربه وقطع جسمه ولأقام الحروب ولكن أنى له ذلك؟ وقد أخذتها يد المنون، وطواها الردى وأنى للإنسان محاربة الموت؟ يقول :

غـدا كـلأ اللـذات وهي يبيـس ... وربع الهـوى من قاطنيه دريس
وولت من العش الرغيد بشاشة ... وأقبل من وجه الزمـان عبـوس
فيالك من يوم عسـير بـدت لنـا ... بفرقـة زاد المـال فيـه نحـوس
وشلت قناتي عنـوة من حياتهـا ... وبـر بهـا علـق لـدي نفيـس
ألا إنما شخص المسرات والمنى ... غـدا وهو في بطن التراب دسيس
وعهدي بها نعم الضجيع وإنها ... لخيـر جليـس إن أريـد جليـس

إلى أن يقول :

وكانـت لأهـل الـدار زينا كأنما ... توقـد فيهـا أنجـم وشمـوس
فأصبح ربـع الـدار منـا كأنـه ... عفاء قـواء ليـس فيـه أنيـس
كأن لم يكن للعيش بيني وبينها ... ملاعب ما أضـحى لهـن حسيس
لئن طمست من ناظري عهودها ... فهـن لقلبـي مالهـن طمـوس
خليلي زاد المال لم ينسني اسمها ... من الغـانيـات زينـب ولميـس
وكل الذي عندي من المال بعدهـا ... لعينـي وقلبـي ناقـص وخسيس
كـذا علـلاني كل يـوم بذكرهـا ... وإن شفني منها جوى ورسيـس
فوالله لـو أنصفتهـا وبحقهـا ... وتلـك يمـين لو علمـت غـمـوس

لما سمعت أذناي من بعد صوتها غنـــــاء ولادارت عليّ كـــؤوس

أعلل قلبـــي بالأباطيـــل بعدهـا وفي القلب منها لوعة ورسيس

وألزم نفسي ظاهر الصبر إنني عن الصـبر عنهـا باطناً ليئوس

أروض من السلوان صعباً بعزمة هي الصبر عنها والسلوشمـوس

ولي كبد وقف على الوجد بعدها ودمع على طول البـكاء حبيـس

وكم هالك يبكي بحـزن وعبـرة ولامثل زاد المـال حين تقيـس

تمنيت أن لو غالهـا كيد كاشـح فتشفى بإدراك التـراث نفـوس

إذا لجرت فيهـا دمـاء وقطعت هنـالك أوصـال لهـا ورؤوس

فأنت ترى هذه المرثية تقطر لوعة وأسى وتحس بحزن الشاعر وصدقه وتدفق عواطفه، وماذاك إلا لأن الشاعر يعبر عن تجربة حقيقية ومعاناة صادقة كما تحس بأن صوره وعباراته تفيض باللوعة والأسى والحزن فتلون القصيدة بنغمة شجية حزينة زاد في وقعها القافية السينية.

٤- أسلوب الستالي ومقومات صناعته الشعرية :

يبدو أن الستالي قد استوعب الثقافة العربية وجودها وحفظ الكثير من الشعر العربي، وقد سار على نمط الشعراء القدماء واستعان بالصنعة البديعية، ولكن مع سهولة ويسر وعدم تكلف حتى ليخيل للإنسان أنه يغرف من بحر، وأن ماجاء به من بديع إنما هو عفو الخاطر، وقد استخدم الستالي التلوين الصوتي، والتآلف بين الكلمات ، والتوافق بين الحروف في نغماتها وأصواتها أو مانسميه حديثا بالموسيقى الداخلية، واستعان في ذلك بالمحسنات اللفظية والمعنوية. فاستخدم الطباق ورد الاعجاز على الصدور والترصيع والتوازن..إلخ وقامت صناعته الشعرية على ذلك وسنعرض لبعضها فيما يلي من صفحات:

أ- الطبـاق :-

استخدام الستالي الطباق لكنه كان طباقاً بسيطاً ساذجاً لايكد الذهن ولايتعب الخاطر، فلن تجد في طباقه عمق أبي تمام ولكن تجد فيه سهولة وبساطة البحتري يقول الستالي : [1]

شحط الحبيب فما يطاق مزاره فمتى بعيد الدار تدنو داره

فيفيض من در المدامع ماؤه وتبوح من حر الأضالع ناره

فهو قد طابق بين بعيد وتدنو وماؤه وناره.

ويقول: [2]

من إذا أيسر أغنى قومه وإذا أعسر لم يبد الضجر

يفعل المعروف عفواً صافياً كصفاء الطل مافيه كدر

فطابق بين أيسر وأعسر وبين الصفو والكدر ويقول : [3]

وصفت علانيتي لكم وسريرتي وتبعت حقي في رضاك وباطلي

كتصرفي مابين أحكام الهوى من جائر فيه عليّ وعادل

ووقيت أدناس العيوب خلائقي بإخاء ذي كرم وصحبة ماجد

وعرفت دهري بعد طول تجاربي للناس بين حليمهم والجاهل

صبراً على زمن أراه مواليا للناقصين معاديا للفاضل

فهذه أبيات رقيقة منسابة يخيل إلينا أنها خالية من الصنعة، ولكن إذا ما تأملناها وجدناها مليئة بالطباق، ففي البيت الأول طابق بين علانيتي وسريرتي، وحقي وباطلي ، وفي البيت الثاني طابق بين جائر وعادل، وفي البيت

١- ديوان الستالي ص٢٢٧

٢- المصدر السابق ص ٢٥٧

٣- المصدر السابق ص ٢٦٧

الرابع طابق بين حليم وجاهل، ونجد في البيت الخامس المقابلة بين قوله موالياً للناقصين ومعادياً للفاضل.

وأنت واجد ذلك في كثير من شعر الستالي ونكتفي بالتدليل على ذلك بنا سقناه لك من أبيات.

ب- رد الأعجاز على الصدور :-

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله : [1] رد العجز على الصدر وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها نحو «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» ونحو «وسائل اللئيم يرجوه ودمعه سائل» ونحو «استغفروا ربكم إنه كان غفاراً» ونحو «إني لعملكم من القالين» وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو آخره أو صدر الثاني كقوله: -

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

وقوله :

تمتع من شيم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقوله :

من كان بالبيض الكواعب مغرماً فما زلت بالبيض القواضب مغرما

وقوله :

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلاً فإني نافع لي قليلها

١- التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ، تحقيق عبدالرحمن اليرقومي، ص٣٩٢ وما بعدها

...إلخ وقد إستخدمه الستالي كثيراً في شعره وإليك بعضاً من ذلك يقول :

قد جاء بالشيم الحسنى أبوحسن ذهـل لـذاك بها أولاده جـاءوا

فقد جعل جاء في الشطر الأول وجاءوا في آخر الشطر الثاني.

ويقول : [١]

أصيـب بما لانقص فيه بمجده وفي مثله أيدي الخطوب تصيب

ويقول : [٢]

وما اصطحاب بني هذا الزمان على غـش الضمائـر إلا شـر مصطحب

ويقول : [٣]

ومن يغـب وسـعى في آلة ولـد كسعيه في العلى والدين لم يغب

هـذا نجيب بني نبهـان وارثـه أبو المعمر طبع السادة النجب

ويقول : [٤]

وجاهدوا معه أهل الضلال معـاً حتى أجاب له من لم يكـن يجب

ويقول : [٥]

تجنبت والمشـتاق لن يتجنبـا وفـاء ويأبـى القلـب أن يتقلبـا

وإني لمغلوب العزيمة في الهوى وذا الحب أحرى أن يرق فيغلبـا

أأصـبو ويعروني على الشيب صبوة وإن كـان غيـاً بالكبـير إذا صـبا

ويقول : [٦]

وبغضت بين الحاسدين ولم يزل ذو الفضل عند الحاسدين بغيضا

١- ديوان الستالي ص٢١

٢- المصدر السابق ص ٢٨

٣- المصدر السابق ص ٣٠

٤- المصدر السابق ص ٣١

٥- المصدر السابق ص ٥٦

٦- المصدر السابق ص ٢٧٥

ويقول : [1]

وفيت لمن لم يلف حباً فما وفى وأنصفت من لو كان صباً لأنصفا

والشواهد على ذلك كثيرة في شعر الستالي

ج- الترصيع :

ويكثر كذلك في شعر الستالي الترصيع وهو نوع من أنواع السجع حيث يقابل كل لفظة من صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها يقول : [2]

فعش في نعيم وعز مقيم يباري الزمان ويفني القرونا

وما كان فيهم له من شبيه ولافي مظنتنا أن يكونا

كريم السجايا جزيل العطايا يرى الجود والحلم عزماً ودیناً

ويقول : [3]

ولعبء كل عظيمة متحمل ولبحر كل كريهة خواض

آت لكل فضيلة متناول آب لكل رذيلة رفاض

د- التسميط :

ومن الأنواع البديعية التي استخدمها الستالي التسميط وهو :

أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت ، يقول الستالي : [4]

منعوا الحوار فلاقرار ولامزار وأنت صابر

لقد اغتدوا يوم اعتدوا لما حدوا بذل الأباعر

بين الظعائن كالسفائن للمعاين وهو ناظر

١- ديوان الستالي ص ٢٧٣

٢- المصدر السابق ص ٤١٨

٣- المصدر السابق ص ٢٧٢

٤- المصدر السابق ص ٢٠٤

عنـــد البكـور وفـي الخـدور كمـــا البـــدور أو الجـــآذر

وكـواعـــــب وربـائـــــب كربـــارب دعـــج النواظـــر

وأهـلـــــــــة بأكلـــــة محتـلـــة بين الســتائر ...إلخ

ويقول في قصيدة أخرى [1]

أمط عنك نعت الحمـى والطـلل وجـل في سبيل الصـبا والغزل

وخلـع العـذار وشـــرب العقار وســكر الخمـار بعقـب الثمـل

ولهـــو الكواعــب غر الترائـب ســود الـذوائـب ذات الكحـل

وحسن النهود ونــور الجيــود وورد الخـــدود ولحـظ المقـل

وكـل خلــوب صـــيود القلـوب بحســـن عـــروب وغنـــج ودل

لصيق الفلائـل فعـم الخلاخـل طـــاوي الأياطـل عـالي الكفـل

ثقيل الروادف داجي السوالف عذب المراشف شنب الرتل ..الخ

وهكذا أنت واجد أنماطاً من البديع يستخدمها الشاعر استخدام العارف الخبير بأسرارها استخداماً يضفي على شعره موسيقى عذبة تميزه عن غيره.

انظر إلى بعض أبياته من قصيدة مدح بها أبا القاسم النبهاني وما جمع فيها من ألوان البديع يقول [2]

أبا القاســـم القاسـم المال سراً وجهـراً سـماحاً على المعتفينـا

بسطـت محيـاك بشـراً إليـنا وأجزلـت فضـل أياديـك فينـا

فأوليـــت كـل ولـــي ســـروراً وغـادرت كـل حســود حزينـــا

إذا كان في فضـل غـيرك شـك عرفنـا لك الفضـل حقـاً يقينـا

فعـــش في نعيـم وعـز مقيـم يبـاري الزمـان ويفنـي القرونا

١- المصدر السابق ص٣٤١

٢- ديوان الستالي ص٤١٨

ففي هذه الأبيات ترى اليسر والسهولة فالشاعر كأنما يغرف من بحر، كما ترى الاستفادة من إيقاع الكلمات وجرسها في إحداث نغمة شجية تضفي روعة وجمالاً على القصيدة كما تتجلى لنا الصناعة البديعية الخفية حتى ليخيل إلينا أنها جاءت عفو الخاطر، فلا تكلف ولاتعمد، انظر إلى البيت الأول تجد فيه الجناس بين أبي القاسم والقاسم المال، والطباق في قوله سراً وجهراً، ونجد المجاز المرسل في البيت الثاني في قوله أياديك فينا، أما في البيت الثالث فإنك تجد المقابلة بين فأوليت كل ولي سروراً وغادرت كل حسود حزينا، وكذلك البيت الرابع إذا كان في فضل غيرك شك يقابلها عرفنا لك الفضل حقا يقينا. وترى الترصيع في البيت الخامس فعش في نعيم وعز مقيم، وانظر كذلك إلى روعة الاستعارة في قوله يباري الزمن ويفني القرونا، ثم تأمل هذه الموسيقى الشجية التي تنبعث من القصيدة، فقد أفلح الشاعر في الملاءمة بين أصوات الكلمات وأحسن في استغلال المدات ليحدث هذا النغم الشجي.

هـ- التشبيهات والصور:

أما تشبيهات الستالي وصوره المجازية فلا تخرج عن القالب المألوف في الشعر العربي وخاصة الشعر العباسي يقول : [1]

قد أبرزت بدر تم في سواد دجى وهز هزت غصن بان فوق دعص نقا

وأقبلت تتهادى في مجاسدها كالشمس حين اكتست في المغرب الشفقا

تختال في غرر الريعان مائسة ميس القضيب تثنى ينفض الورقا

تريك أسود غربيباً إذا حسرت من الغدائر أبيضاً يققا

وانظر إلى استعارته وكنايته في قوله : [2]

١- ديوان الستالي ص ٣١٦

٢- المصدر السابق ص١٢

وتائهة بالحسن في رونق الصبا لها بشر صاف ومبتسم عذب

أناة الخطا تمشي الهويني إذا بدت تهادى علي أعطافها الوشي والقصب

وتظهر لي عتباً على صحة الهوى وأحلى الهوى ماشابه المزح والعتب

هذه هي مقومات الصناعة الشعرية عند الستالي، وإذا أردنا أن نحدد مدرسة الستالي الشعرية فإننا نضعه بدون تردد في مدرسة البحتري، هذه المدرسة التي تقوم على احترام تقاليد الشعر العربي وإيثار السهولة واليسر والصنعة البديعية مع الفصاحة والجزالة، يقول الآمدي في وصف البحتري : «كان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام» ويقول ابن رشيق عن البحتري : «كان أملح صنعة وأحسن مذهباً في الكلام سلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ، لايظهر عليه كلفة ولامشقة [1]»

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن البحتري: «قالوا إنه حافظ على الأساليب الموروثة أو كما قال الآمدي عمود الشعر العربي، فصناعته أقرب ما تكون إلى صناعة البادية، ليس فيها تجديد ولاخروج على التقاليد ، من أجل ذلك كله اعتبر النقاد البحتري مصوراً للمذهب القديم»[2]

ويقول في نص آخر عن البحتري: «استطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمة بينها في الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملاءمة رفعته إلى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها سابق ولا لاحق [3]

ويقول الدكتور عبدالله الطيب «البحتري رقيق الشعراء المحدثين جميعهم، وأطبعهم وأسلسهم من غير خروج عن مذهب المتانة في السبك، واتباع المذهب الفصيح في تقصيد الكلام، ولكلامه رنين قل أن تجد نظيره عند غيره من الشعراء نغم رنان تنساب معه الألفاظ

١- العمدة ص٣٠

٢- الفن ومذاهبة في الشعر العربي لشوقي ضيف الطبعة التاسعة ص١٩٢

٣- تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الثاني، لشوقي ضيف ص٢٨٨

انسياباً، فإذا عنت الصورة الجميلة أو الخاطر الشعري الرائع، وافاك ذلك كالبرزق الخاطف، حتى تكاد تسأل نفسك أصدق هذا أما أنا مسحور، ولن تجد شاعراً يفتن كما يفتن البحتري في استغلال الثلاثيات من الكلمات واستعمال المصادر المنونة وألفات المد، وحروف الإشباع، كل ذلك في سلاسة وخفة ورشاقة [1] .

هذه هي آراء بعض النقاد القدامى والمحدثين في صناعة البحتري وقد صور لنا البحتري نفسه ذلك في أبياته التي يقول فيها :

في نظـــام من البلاغـــة ماشـــك امـــرؤ أنـــه نظـــام فريـــد
وبديـــع كأنـــه الزهـــر الضاحـــك في رونـــق الربيـــع الجديـــد
ومعـــان لو فصـــلتهـــا القوافـــي هجنت شـــعر جـــرول ولبيـــد
حزن مستعمل الكـــلام اختـــياراً وتجنيـــن ظـلمـــة التعقيـــد
وركبـــن اللفـظ القريـــب فأدركـــن بـــه غايـــة المـــراد البعيـــد

وأنت واجد شبيهاً لما ذكره النقاد عن البحتري في صنعة شاعرنا الستالي -كما أوضحتا سابقا- فالسلاسة والسهولة واستخدام البديع بمهارة والاستفادة من جرس الكلمات كل ذلك واضح عند الستالي مع الفارق في الثقافة والبيئة وامتلاك ناصية الشعر بين الشاعرين ونسوق في ختام حديثنا عن صناعة الستالي الشعرية أبياتاً له يفخر فيها بشعره يقول :[2]

ومحكمـــة راح الســـتالي واغتـدى بمدحـــك في أبـــياتهـــا يتفـــوق
يهـــذ بهـــا لفظـــاً ومعنى وصيغـــة وأحكمهـــا فيـــه البديـــع المنمـــق
فجاءت تسـر السامـعين بمثـل ما شـــداه جريـر أو شـداه الفـرزدق

١- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها لعبدالله الطيب ج١ ، ص٢٦٨

٢- ديوان الستالي ص٣٠٨

فعطر بها ألباس عرضك إنها لطيمة حمد نشرها بك يعبق

وحل بها أجياد عليك إنها قلادة مجد نظمها بك موثق

وباه بها عند الملوك فإنني أباهي بمدحي فيك إذ أنا أصدق

وحام على شعري وحافظ فإنه يغار عليه يستعار ويسرق

وقد يطلب التشبيه بي متكلف ويسبح في تيار شعري فيغرق

د- ملاحظات ومآخذ :

نلاحظ أن الستالي قد تأثر في بعض شعره بالقرآن الكريم.

يقول الستالي: [1]

كل نفس رهن بما كسبت وكاسب السوء رهنه غلق

والخير والشر من مكاسبنا فالخير يبقى والشر ينمحق

أخذه من قوله تعالي : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ . [2]

ويقول :

والريح لواقح أرسلها فتثير سحائب بالرهم

فتصيب الأرض فتنبتها نضراً في القاع وفي الأكم

أخذه من قوله تعالى : ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ . [3]

١- المصدر السابق ص٢٩٣

٢- المدثر ٣٨ .

٣- الحجرة ٢٢ .

ويقول أيضا :

والـــرزق تجاهـــــد مطلبـــه وينـــال عـــلى قـــدر القســـم

أخذه من قوله تعالى ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدينا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات..﴾ [1] الخ

كما نجد أن الستالي قد أخذ من بعض الشعراء القدماء، يقول الستالي : [2]

لعمرك ما أعطى الفتى من خليقة ولازمهـــا لـــم تعـــد أن تتكشـــفا

أخذه من قول زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرىء من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقال الستالي يمدح كهلان بن نبهان : [3]

بـــك ثبت الله المماليـــك مثلمـــا قد ثبتـــت في الراحتيـــن أصـــابـــع

وهذا من قول الأحوص :

وقد ثبتـــت في القلـــب منـــك مـــودة كمـــا ثبتـــت في الراحتيـــن الأصـــابـــع

ويقول الستالي: [4]

غريـــر النـــاس أكثـــرهـــم نعيمـــا وأشـــقى النـــاس في الدنيـــا اللبيب

أخذه من قول المتنبي :

ذو العقل يشـــقى في النعيـــم لعقلـــه وأخو الجاهلـــة في الشـــقاوة ينعـــم

ويقول المتنبي أيضاً :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمـــن يخلو من الهم أخلاهـــم من الفطـــن

١- الزخرف ٣٢

٢- ديوان الستالي ص٢٨٥

٣- المصدر السابق ص

٤- المصدر السابق ص ٣٨

مما يؤخذ على الستالي استجداؤه في كثير من قصائده كقوله :[1]

وكلما عرضت لي حاجة صعبت ذكرته فبدت لي غرة الظفر

ولايفرج عني كل حادثة إلا جواب نادئي يا أبا عمر

ويشفع له أن ذلك كان ديدن شعراء المديح

ولغة الستالي لغة سليمة وأوزانه مستقيمة، وكذلك هناك بعض الهنات اللغوية، لعل بعضها من عمل النساخ مثل قوله : [2]

وبيت عتيكي تدافع دونه من الأزد أبطال غطارفه غلب

والأفصح عتكي وقد يستعمل بعض الكلمات التي لاتوجد في القواميس مثل قوله:[3]

وكان محمد خلقاً زكيا يكون له على العليا ربوب

فكلمة ربوب لم تجيء في كتب اللغة بهذا المعنى وجاءت الربوبية بمعنى الملك.

وقوله : [4]

والعيد عاد عليك مسروراً في حسن حليته وفي تطيابه

فكلمة تطياب كلمة غريبة.

وانظر إلى قوله : حتى استقام لبيبا غير مغترر [5] حيث فك الإدغام لوزن الشعر والأفصح مغترّ

وهناك خلل في أوزان بعض الأبيات وهو قليل جداً لعله من فعل النساخ مثل قوله : [6]

١- ديوان الستالي ص٢٤٩

٢- المصدر السابق ص١٥

٣ - المصدر السابق ص٤٢

٤- المصدر السابق ص٤٧

٥- المصدر السابق ص

٦- المصدر السابق ص٦٠٧

هاتيــك نفســي عند حاجتهــا فعد عنهــا ولايشــغلك مطلبهــا

وقد تلجيء الضرورة الشاعر أحيانا إلى استعمال لغات غير فصيحة مثل استعماله لغة أكلوني البراغيث في قوله : [1]

ليالـي لاينكرن لهوي وصبوتي وأيــام لاينفــرن عني الخرائـد

على أي حال فإن هذه الأخطاء قد تخرج على أنها ضرورات وبعضها قد يكون من فعل النساخ.

نكتفي بهذا القدر ونتناول بالدرسة الشاعر سليمان النبهاني.

السلطان سليمان بن سليمان النبهاني

١-حيـاتـــه :

من أبرز شعراء عمان القدماء، السلطان سليمان بن سليمان النبهاني، الذي عاش في القرن التاسع الهجري وبرز في الشعر بروزا واضحا يجعلنا نعيد النظر فيما قاله مؤرخو الأدب من أن هذا القرن قررن انحطاط أدبي ، ذلك حسب تقسيمهم الأدب بحسب العصور السياسية وإهمالهم دراسة البيئات والاقاليم.

ولد شاعرنا كما يقولون وفي فمه ملعقة من ذهب، فقد نشأ في أسرة عريقة في السيادة والملك ، فوالده كان ملكا، وكذلك جده. ولانعرف تاريخاً محددا لولادته، أما وفاته فقد كانت سنة ٩١٥هـ-١٥١٠م ينتهي نسبه إلى بني نبهان وهم قوم من العتيك ينتمون إلى أزد عمان وقد اغتصبوا الملك من أئمتها، وساروا سير الملوك المترفين ولذلك نجد المؤرخين العمانيين وجلهم من علماء الدين يهملون أخبارهم ويصفونهم بالجبابرة يقول الشيخ السالمي عن النباهنة [١] (هم قوم من العتيك صار الملك اليهم بعد الأئمة السابقين، وذلك لما اراد الله سبحانه وتعالى إنقاذ أمره في أهل عمان، فأنهم لما افترقوا فرقتين، وصاروا طائفتين، نزع الله دولتهم من أيديهم، وسلط عليهم قوما من أنفسهم يسومونهم سوء العذاب) وقد زاد ملكهم عن ٥٠٠ سنة [٢].

وقد ذكر ابن حزم ولد العتيك بن الأزد [٣] (وهؤلاء النباهنة أسرة من أزد عمان) يؤكد ذلك قول السالمي «قوما من أنفسهم» ويتشابه اسمهم مع بني نبهان وهم بطن من قبيلة طيء التي نزلت الحجاز بين جبلي أجا وسلمى بعد أن نزحت من اليمن بسبب سيل العرم.

١- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان للشيخ نور الدين السالمي ص٨٦

٢- المصدر السابق

٣- أنساب العرب لابن حزن الأندلسي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ - ١٢٨٣ ط أولى ص ٣٦٧

ومنهم محمد بن حميد الطائي القائد المشهور في العصر العباسي والذي رثاه ابو تمام بقصيدته المشهورة [1]

كذا فليجل الخطب وليقدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ومنها قوله :

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

فهؤلاء من طيء أما نباهنة عمان فمن أزد عمان.

ولانعرف الكثير عن طفولة الشاعر السلطان سليمان فقد تعلم في مدارس بهلى وأخذ اللغة والأدب عن علمائها ويبدو من قراءة ديوانه أنه حفظ الكثير من الشعر في العصور المختلفة (الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية) ويتجلى أثر ذلك في معارضته لفحول الشعراء، كما يتضح في لغته وأوزانه ، فقد استضمر تراكيب الشعر القديم واستقرت أوزانه في ذهنه، وتسربت صوره وألفاظه إلى نظمه مع احتفاظه بشخصيته فهو ليس بالمقلد الذي تذوب شخصيته في غيره بل هو مبدع متميز واضح الشخصية.

واذا كان النقاد المحدثون يقيسون صدق الشاعر بمقدار تعبير شعره عن حياته فإن شعر النبهاني يعبر عن حياته أصدق تعبير، يعبر عن حياته في شبابه وعن معاركه وعن فخره واعتزازه بأصله. فقد كان في شبابه لاهيا مترفا يرتشف اللذات ، ويتمتع بلقاء الحسناوات ومجالس الغناء في الرياض وشرب الخمر يقول [2]

أروح وأغدو بين دن ومسمع وبهكنة معشوقة الحركات

إذا ماجلسنا في البساتين غدوة على فرش مرفوعة عطرات

فكم جنة في الأرض دان قطوفها بها غرفات ايما غرفات

قضينا بها أيامنا بمدامة لدى قاصرات الطرف بين سقاة

١- ديوان ابي تمام

٢- ديوان النبهاني ص٧٥

ولايتورع فيصف الخمر ويبالغ في وصفها ولا يأبه بمصادمة هذا الوصف لمشاعر مجتمعه الإباضي القوي التمسك بالدين فيقول : [1]

ألا فاصبحينا ابنة الأكرم سخامية كدم العندم

عقارا تمزق ثوب الظلام بضوء شعاع لها مستم

إلى أن يقول :

كان الحباب بها لؤلؤ على ذهب ذائب مسجم

بتشبيهنا قمر زاهر يطوف بشمس على أنجم

ونحن نجر ذيول الحرير نشاوى نفيد ولم نشتم

ويقول غير ابه بما يجره عليه هذا الوصف [2]

راح اذا هرقت وأشرق نورها سجد السقاة لها على الأذقان

ولها هدير في الدنان كأنه نغم القسوس قبالة الصلبان

فكأنها وكأن رصع حبابها ذهب يرصع فوقه بجمان

نازعتها الندمان في متنزه حاكت مطارفه يد التهتان

فكأن بهجته وغض أراكه وجه الحبيب وقامة النشوان

والماء مندفق تجعده الصبا وكأنه جار بغير عنان

ونجد ذلك كثيرا في شعره، ولكننا نكتفي بهذه الأمثلة فهي تصور ولعه بالترف والملذات، وبعده عن التدين الورع، وتفسر لنا إعراض كثير من المؤرخين والعلماء العمانيين عنه وتجاهلهم له. ويصور ديوانه كذلك ولعه بالنساء فنجد في ديوانه العديد من أسماء النساء اللاتي وصفهن فمنهن : راية ومؤذية، ورباب، وصفوة، وضمان وعمرة، وخولة ...الخ ولسنا ندري هل هن نساء حقيقيات أم كنى بهن عن محبوبة واحدة..؟

١- ديوان البنهاني ص ٢٦٨

٢- ديوانه ص ٣٥٤

ومع وصفه للعديد من النساء، الا أننا نجد اسم راية يتردد كثيرا في شعره، وتذهب بعض الروايات إلى أن راية زوجته، ولكن شعره فيها يدل على أنها أقرب أن تكون خليلته، يقول فيها[1]:

ورايـة في الـهـودج وهي خـود يضيق لحم معصمها السـوارا
لهـــا فـــرع كجنـــح الليـل داج ووجـه مشـرق يحكي النهارا
وريـق مثـل صافي الشـهد علّ بكافـــور مزجـــت بـه عقـارا
وقدّ مثـــل خـوط البـان لـدن اذا خطرت تداني الخطو مارا

وقد رويت حول راية هذه قصص [2] أشبه بالاساطير، ذكروا أن راية كانت فائقة الجمال وكان من بعض حسنها ن فرع رأسها كان يغطيها، ويسترها مقبلة ومدبرة، وقد ذكروا أن السلطان سليمان من فرط حبه لها وإعجابه بها، ذكر يوما لوزيره هذه الصفة، فأنكر وزيره ذلك فقال له : لأرينك ذلك رأي العين فامش ورائي، وكان إذا أقبل تلاقيه على هذه الصفة، فانتبهت راية للوزير وغضبت لذلك الأمر وأقسمت على هجرانه.

ولاشك أن هذه القصة موضوعة لتشويه صورة السلطان سليمان النبهاني، فإذا كان أدنى الناس يغار على حرمه فما بالك بملك؟ ولعل ما أغرى على وضع هذه القصة ما اشتهر به السلطان سليمان من مجاهرة بالمعاصي، ولعل تعليل ولع السلطان بهذه المجاهرة لايرجع إلى تأثره بامرىء القيس وعمر بن ربيعة فحسب، وإنما يرجع كذلك إلى الافتتان بالذات، وهو مايسمى في علم النفس بالنرجسية، ومن أبرز سماتها الولع بالظهور ومخالفة المألوف وإثارة الناس، فالشخص النرجسي دائما يحب أن يكون في دائرة الأضواء ومحل حديث الناس سواء أكان بالخير أم الشر.

ومع ذلك فلم يكن السلطان سليمان منصرفا إلى اللذات فحسب وإنما كانت السياسة

١- ديوانه ص١٣٠

٢- ديوان النبهاني ص١٤ / ١٥

والحرب تشغل جانبا كبيرا في حياته، فقد كان فارسا لايشق له غبار، وقد صور ذلك في شعره يقول [1] واصفا معاركه مع أخيه حسام :

فمن مبلغ عني حسام ألوكة ... تبلغ معطاها لأهدى المذاهب

أبا ناصر لاتجهل الحرب إنها ... لتقطيع أسباب الإخا والمناسب

إلى أن يقول :

ألم أترك القرن الكمي معفرا ... بخديه مغمورا غبار السلاهب

ألم أنهل القرن الخشيب غراره ... نجيعا إذا خامت كماة اللواعب

فإن كنت قد جربت حربي فسالمن ... وإن لم تكن جربت حربي فحارب

ولم ألبس الدرع الدلاص مخافة ... من الموت لكن سنة للمحارب

ولم أركب الشقاء كي أتقي بها ... ولكن لي في وثبها بالتضارب

سل الحرب بي والخيل والليل والقنا ... وبيض المواضي والايادي الرواتب

ففي السلم إطعام العفاة سجيتي ... وفي الحرب إطعام النسور السواغب

ويقول ايضا واصفا وقعة الجبيل [2]

ألا ليت صولة يوم الجبيل ... وقد كشر الموت عن نابه

وقد صاحب الحرب بالمعلمين ... ونادي الهياج بأصحابه

وقد جاش بالخيل بحر يموج ... فيرمي القروم بعبابه

وقد فر من نارها المائقون ... وكل تكشف عن عابه

تشاهدني والقنا شرع ... وكل يكنى بألقابه

فما ليث عريسة خادر ... على لبدتيه وأنيابه

بأشجع مني غداة الجبيل ... إذا الروع سرى بجلبابه

رددت بسيفي خميس الكماة ... على أثريه وأعقابه

١- ديوانه ص٥٦

٢- ديوانه ص ٥٨

ويقول[1] :

وتعرفنى الهيجاء والليل والسرى وسمر العوالي والسيوف القواطع

ويصحبني في الروع رأى مسدد وعزم حسامي ولب مشافع

وسابقة سرد وشقاء شطبة وأسمر عسال وأبيض قاطع

ونجد مثل هذا الشعر كثيرا في ديوانه.

وقد كانت له وقائع حربية مع أخيه حسام انتهت بقتل حسام. وكانت بينه وبين الإمام عمر بن الخطاب الإباضي [2] سنة ٨٨٦هـ وقائع حربية أعظمها ملحمة حمت في وادي سمائل التي انتهت بانتصار السلطان سليمان، ثم كرت الأيام فهزم السلطان سليمان، وانتهى به الأمر إلى الهجرة إلى أرض فارس. يقول ذاكرا ذلك ومبررا ذهابه إلى أرض فارس، ومشبها نفسه بسيف بن ذى يزن الذي ذهب إلى الفرس، واستعان بهم لإعادة ملكه من الحبشة، يقول [3] :

فإن أك قد فارقت قومي وأسرتي لأدرك شأوا شايعا أنا طالبه

فقبلي سيف رب غسان طوحت به نية إذ أنكر الضيم طالبه

تغرب فردا يطلب العز جاهدا وفاء بمثل اليم جاشت غواربه

فظلّ بعز يلفظ الدر تاجه بغمدان واحلولت إليه مشاربه

نهايته :

يروى عن سبب نهايته أنه هجم على امرأة كانت تغتسل بفلج الغنتق بنزوى فخرجت المرأة هاربة عارية فجعل يعدو على أثرها حتى وصل حارة الوادي فرآها محمد بن إسماعيل، فخرج إليه وأمسكه وصرعه على الأرض، فمضت

---

(١) ديوانه ص ٢٨٢

(٢) ديوان النبهاني – المقدمة ص ١٥

(٣) ديوانه ص ٦٥

المرأة، ودخلت العقر، فخلى سبيله فعند ذلك فرح المسلمون لما رأوه من قوته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنصبوه إماما، وذلك سنة ٩٠٦هـ[1] وهذه الرواية واهية في نظرنا يضعفها أن السلطان سليمان عند حدوث هذه الواقعة كان شيخا تجاوز التسعين من العمر ومن كان في مثل هذه السن فيصعب أن يفعل هذا الفعل.

كما أننا نجد أن السلطان سليمان قد تاب وأناب في أخريات حياته وفزع إلى الله كما يتضح في مخمسته التي ختم بها ديوانه يقول[2]

يـــارب بالبيـت العتيـق الأعظـم والمروتيـن والصـفا وزمـــزم

وبالنبـــي الهاشـــمي المكـرم كن لابن نبهـان المليـك المجـرم

بـــرا رؤوفـــا راحمـــا حفيـــا

وامـح الـذي أحدثـــه وأجرمـــا واغفـــر لمـــا أخـــره وقـدمـا

وكن بمـا يرجـــوه منـــك منعمـــا فإنـــه مؤمـــل أن يرحـمـــا

إن كنـــت عـــن عذابـــه غنـيـــا

ولهذا فنحن نرجح أن تكون وفاته حدثت بعد أن هزمه محمد بن إسماعيل وأخذ الملك منه ونستبعد قصة المرأة.

---

(١) تحفة الأعيان ص ٣٧٩

(٢) ديوانه ص ٣٧٠

٢ – شعره :

١/اغراض شعره:

نجد في ديوان النبهاني العديد من أغراض الشعر مثل : الفخر، الغزل، الوصف... ويكاد ديوانه يخلو من المدح، وذلك أمر طبيعي فهو ملك يُمدح ولا يمدح وسوف نتحدث عن أبرز أغراض شعره ومنها

(أ) الفخر والحماسة :

من أبرز الأغراض التي تناولها النبهاني الفخر والحماسة، ونجد في فخره الكثير من المبالغة والمغالاة التي تخرج عن المألوف، والتي تجسد الغرور وحب الذات، فقد أكثر من ذكر أنا ونحن، فهو يفخر بنفسه، وبأبيه وجده، وقومه وعشيرته، بل بالعصبية اليمنية. يقول مفتخرا بنفسه [١] :

أنا البطل المرهوب في حومة الوغى وأكـــرم وهـاب وأفضـل مفضـال

سليمان اسـمى وهو اسـم لوالـدى واسم لجدي وهو ذو الشـرف العالي

بل ويزعم أنه من سلالة النبي هود عليه السلام

انا ابن بني اللـه هـود بـن عابـر فيالـك عيصـا لا يشـاب بإدخـال

بنا اهتدت الأملاك للبـأس والنـدى فأمـــلاك أمـلاك وأقيـال أقيـال

ويقول مفتخرا بجده [٢]

فجـــدي نبهـان الهمـام ووالـدي سـليمان مولـى كل بـاد وحاضـر

كما يفخر بقومه من الأزد، ويصل نسبهم بالنبي هود عليه السلام

فيقول :

أنـا ابن مليـك الأزد غسـان أنتمـي لهـود إذا الأنسـاب عـدت لعابـر

وعابر هذا ابن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

---

(١) ديوانه ص ٢٣٠

(٢) ديوانه ص ١٦٠

ويفخر باليمانية ويفهر بعراقة ملكهم في الجاهلية فيقول[1] :

سبا سبأ جدي نساء معاشر وسمى به فاقني حياءك واعذري

ويقول [2] :

أنا الملك القرم من تبع فهل لفخاري من مفخر

أنا بن الملوك وصقر الملوك ومولى ملوك بني حمير

وفي الاسلام يفخر بالأوس والخزرج الذين ينتمون إلى قبائل الأزد ويجتمعون معه في هذا النسب البعيد فيقول [3] :

ضربنا على الإسلام أبناء هاجر فدانوا وأدوا واجب الزكوات

غصبناهم كرها على الدين مثلما غصبناهم قدما على الأتوات

ويقول أيضاً[4] :

ونحن سقينا يوم بدر رماحنا نجيع قريش واليهود بخيبر

وهكذا نراه يركز فخره على القبيلة العشيرة، ويعلي من شأن العصبية اليمنية، وإلى جانب ذلك فهو لا ينسى الفخر الذاتي، فيفخر بشجاعته وخوضه غمار الحروب كما يفخر بكرمه وجوده يقول[5]:

وسل عن ضرابي يوم إزكي حاسرا بسيفي وقد فرت جموع حماتي

ضربت جموع القوم حتى تركتها أيادي سبا ممنوة بسبات

فما منهم إلا قتيل مجندل تهادي شواه أذؤب الفلوات

إلى أن يقول

وكم وقعة مشهورة قد شهدتها يقصر فيها المرء عن فعلات

فلا جيش للأعداء إلا هزمته ولا قطر إلا جزت بالفلوات

ولو شئت كفاني وزير وخادم ولم ألق نفسي في يد الهلكات

---

(١) ديوانه ص ١٤٣

(٢) ديوانه ص ١٢٣

(٣) ديوانه ص ٧٩

(٤) ديوانه ص ١٤٥

(٥) ديوانه ص ٨٠ – ٨١

ولكن نفسي مرة ليس ترضى سواء بيعها في الحمد والغمرات

ونجد الفخر والحماسة يشمل معظم شعر النبهاني، وكما يفخر بشجاعته يفخر أيضا بكرمه وبوفائه يقول[1]

ما خنت عهدا مذ نشأت ولم أكن أخلفت وعدا
أعددت للأضياف دهما دفقت لحما وثردا
وصواهلا للماجدين إذا جزاء الشعر عدّا
وبدور تبر ضمنت أتلفلتها نقدا فنقدا

وقال أيضاً [2]

فللجود كيما أحصد الحمد زارع وللبأس كيما أجتني العز غارس
أكر إذا كر الكمي مخافة وأقدم إن حاد الجرئ المداعس
أنا البحر معروفا أنا الليث نجدة إذا ذكرت عند الفخار الفوارس

وقد بالغ النبهاني كما أسلفنا مبالغة تخرج عن المألوف لما فيها من غلو يقول [3]

إني أنا الدهر لكن ما انطويت على غدر وذا الدهر خوان وغدار

ويقول [4]

أنا فارس الخيل تحت العجاج إذا الكبش خام ولم يصبر
وأكرم في المحل من حاتم وأشجع في الحرب من عنتر
وأفرس من راكب الصافنات وأقدم ساط على عسكر
وقابض أرواح كل الكماة بيوم على الناس مستسعر

والديوان ملئ بمثل هذا الفخر وخلاصة القول عن فخر النبهاني إنه لا يخرج عن إطار الفخر في الشعر العربي القديم الذي يقوم على الفخر بالقبيلة والعشيرة، والشجاعة، والكرم، كما يتميز فخره بالمبالغة والغلو.

---

(١) ديوانه ص ١١٨
(٢) ديوانه ص ١٦٥
(٣) ديوانه ص ١٣٧
(٤) ديوانه ص ١٢٥

(ب) الغزل:

من الأغراض التي عني بها النبهاني الغزل، فقد نال هذا الغرض الكثير من اهتمامه، واحتل مساحة واسعة من ديوانه، ولا سيما شعره الذي نظمه في عصر الشباب فهر يذكر العديد من النساء ويصفهنّ، ومن أشهرهنّ : رايةو ومؤنية، ثم يذكر رباب وصفوة وضمان.... الخ.

وغزل النبهاني لا يخرج عن المألوف في الشعر العربي القديم فهر يصف المرأة وصفا حسيا يبرز جمالها الظاهري، إلا أن شعره في راية يتسم بعاطفة حارة مثل قوله [1] :

تأوبّ طيف راية من بعيد ... لنا سحرا ونحن ببر قعيد

سرى والليل قد ألقى جرانا ... وبات يطوف بالركب الهجود

ألم فلمّ صدعا في فؤادي ... وأطفأ لوعة بعد الوقود

ويقول أيضاً [2]

لراية وجه يكسف الشمس والبدرا ... ولدن قوام يخجل الصعدة السمرا

وثغر كممطور الأقاحي واضح ... وسلسال ريق يفضح الشهد والخمرا

وجيد كجيد الرئم حال مطوق ... يزين الجمان واليواقيت والشزرا

غزالية خوطية جؤزرية خدلجة ... غراء ممكورة عذرا

إذا نظرت أصمت قلوبا وإن مشت ... مشى الشوق في أحشاء عاشقها جهرا

ويقول أيضاً [3]

غراء مسفرة الترائب كاعب ... ترنو بناظرتي غزال أغيد

تسبي العقول بصبح وجه أبيض ... باد الضياء وليل فرع أسود

ومتى ظللنا في غياهب ليلة ... تسفر فنبصر في الظلام ونهتدى

---

(١) ديوانه ص ١١١

(٢) ديوانه ص ١٤٨

(٣) ديوانه ص ١١٤

ولعل في هذه الأمثلة ما يوضح أن غزله حسي، وأن صوره وتشبيهاته لا تخرج عن المألوف في الشعر العربي القديم ولكن مع ذلك نحس بشخصيته وقوة نظمه، ونراه في غزله يترسم خطى الشعر القديم ولا سيما شعر امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة، انظر إلى أثر معلقة امرئ القيس في قوله [1] :

إذا نظرت شاهدت بالرمل فرقدا أو التفتت عاينت ريما مزعرا

لها بشر لو باشر الورد بعضه بناعمة بله الرياض لأثرا

ووجه إذا ما قابلت وهي سافر به الشمس خلناه من الشمس أنورا

وجيد كجيد العوهج الخاذل انتحت جبال الغضى ترعى عرارا ونوفرا

ونهد كحق العاج أملس ناعم حصان به صاك العبير فعفرا

وصدر منير كالسجنجل مشرق ثنى لونه الجادي بالنضح أصفرا

وترخى على المتنين أسحم فاحما غرائره يحملن مسكا وعنبرا

وتبسم عن حم المراكز نصع عذاب يحاكين الإقاح المنورا

وانظر إلى هذا الحوار الذي يذكرنا بعمر بن أبي ربيعة وقصيدته :

(أمن آل نعم أنت غاد ومبكر) وكذلك بقصيد امرئ القيس (ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي)، يقول النبهاني [2]:

وخدر فتاة لا يرام ولجته على طفلة غراء ابنة أقيال

تولجته والليل ملق جرانه وقد أطّ نوما سامر الحي والصال

فقالت أبيت اللعن إنك قاتلي فرفقا فأعمامي شهود وأخوالي

وقلت اطمئني إن سيفي لصارم خشيت وإني ذو مقال وأفعال

---

(١) ديوانه ص ١٥٦

(٢) ديوانه ص ٢٢٥

(ج) الوصف:

من الأغراض التي اهتم بها السلطان سليمان الوصف فقد وصف مجالس اللهو والغناء، والقيان والخمر، كما وصف الإبل وشبهها بالحمر الوحشية وبقر الوحش، ووصف الصحراء ووصف الخيل وخصها بقصائد منفردة كما وصف معاركه وحروبه.

وقد قدمنا فيما سبق أمثلة لوصفه للقيان ومجالس الخمر ونسوق هنا بعض الأمثلة لوصفه للناقة والصحراء يقول [١]

وديمومة تحكي السماء قطعتها بذعلبة موارة الضبع شملال [٢]

أمون ذقون عنتريس عرندس عثوثجة غلباء وجناء مرقال [٣]

ثم يشبه الناقة بحمار الوحش فيقول [٤] :

كأني على من حمر بين عماية وبين جبال الرمث أو حمر أورال [٥]

خدب الشوى جأب رباع مكدم دميم الصلى عالي الطريقة صلصال [٦]

ويقول في قصيدة أخرى يصف فيها الصحراء وكيف قطعها بناقته التي تشبه النعامة ولم يهب أخطارها وورد مياهها الآجنة [٧] :

وديمومة خرق خرقت متونها بإرقال إحدى اليعملات السلاهب [٨]

أمون دفاق عنتريس كأنها سفينة سقفاء تبرى بحاصب [٩]

---

(١) ديوانه ص ٢٢٦

(٢) الديمومة : الصحراء، اذعلبة : الناقة السريعة، موارة الضبع : سريعة حركة اليدين، الشملال : السريعة

(٣) الأمون : اتى يؤمن عثارها، الذقون : سريعة حركة الرأس ، العنتريس : الصلبة، العرندس : الشديدة ، العسوسج : القوية، الغلباء : ضخمة العنق، الوجناء : المنتفخة الجنبين، المرقال : التي تسرع في سيرها

(٤) ديوانه ص ٢٢٧

(٥) عماية وجبال اورال : مواضع

(٦) الخدب : الغليظ، الشوى القوائم، والجأب: الضخم المنكبي،المكدم : الذي عضعضته الفحول الدميم : الممتلئ لحما، الصلى : ماعلى يمين الذنب ويساره، الطريقة : الظهر، الصلصال : الشديد الصوت

(٧) ديوانه ص ٥٥ – ٥٦

(٨) خرق : تنخرق الرياح فيها، الارقال : السير السريع، اليعملات : النوق السريعة، السلاهب : الطويلة الظهر والعنق

(٩) السفنجة : الخفيفة السريعة، السقفاء : من السقف وهو طول في إنحناء، تبرئ : تعرض، الحاصب : المكان ذو الحصباء

وماء صرى تعوي الأماعط حوله كترجيع نوح الفاقدات النواحب [1]

وردت اختياراً بعد وهن ولم أخف ضواري تلك الساريات السوارب [2]

ويقول أيضاً [3] :

وقل يارب خاوية نآة كظهر الترس تشرق بالسراب [4]

قطعت بأصهب العثنون ناج نجيب من أناعيم نجاب [5]

وماء آجن الجمات طام تلفعه الخدارق باللعاب [6]

وردت وللذئاب عليه وهن برازيق تجاوب باصطحاب [7]

وليل مثل لون النيل داج لبست لنيل حاجات صعاب

ونراه يصف الخيل ويخصها بأكثر من قصيدة، فهو يخص فرسه الغراب بقصيدة يقول فيها [8] :

إن السوابق كلها يقصرن عن جرى الغراب

قد سسته فلوا وقلت له اسبق الخيل العراب

ويخصص قصيدة لمدح الخيل يقول [9]

الخيل أفضل ما يجبى ويصطنع وخير مال به في البأس ينتفع

هي المعاقل إلا أنها سفن تنجو بصاحبها إن خامر الفزع

الخيل أنجح ما شن المغار به أهل الحفاظ وخطى القنا شرع

وقد غدوت أمام الحي تحملني حرداء وثابة في كعبها صمع [1]

---

(١) صرى : متجمع ، الأماعط : جمع أمعط وهو الذئب

(٢) الوهن : هو منتصف الليل

(٣) ديوانه ص ٤٢

(٤) الخيالة من السكان ، النآة البعيدة

(٥) أصهب عثنون : المراد به البعير، ناج : ينجو صاحبه، النعيم : مع أنعام، نجاب : جمع نجيب

(٦) آجن : اسم فاعل من آجن الماء إذا تغير، طام : فائض، الخدارق : جمع خدرنق وهو العنكبوت، اللعاب : يراد به خيوط العنكبوت

(٧) برازيق : جماعات

(٨) ديوانه ص ٦١ – ٦٢

(٩) ديوانه ص ١٦٥

(١) الصمع : صغر الكعب

شقاء في سـطع قنـواء في تلـع يرقى بها الطـرف أحيانا ويتضع

يقول أيضا في مدح الخيل [٣]:

قل للمشغوف بربط الخيل ومن لم يصب إلى الإبل

لا تغش الحرب بغير وأي ممسـود الخلقـة كالحبـل

بدقيق المذبـح عار الوجـه سـليب الناهـق معتـدل

بعريـض الخـد عـريـض الصـهـوة والكفـل

وقصير الظهر قصير العين قصر الرصـغ بلا ميل

ومن هذه القصائد نستدل على أن النبهاني كان فارسا عالما بالخيل، ولا عجب في ذلك فالخيل من أهم أدوات المعارك والحروب، ومثلما وصف الخيل وصف المعارك والحروب التي خاضها يقول [٤] :

سـائـل بنـا جبـل الحديـد غـداة صـار الهـزل جـدا

إذ خضـت مـوج خضمهـا ورددت أولـى الخيـل ردا

وجعـلـت نفـسـي دونهـم يـوم الوغـى ردءا وسـدا

كالليـث هيجـه المهجهـج فـي عرينتـه فشـدا

يـارب جمجمـة جعلـت لصـارم الحـديـن غمـدا

ولكـم بذلـت مواهبـا كيمـا أحـوز بهـن حمـدا

---

(٢) الشقاء : التي تشق الطريق، السطع: رفع الرأس ومد العنق. الغنواء : ما في أنفها حدب، الطرف : البصر، يتضع : ينخفض

(٣) ديوانه ٢١٨

(٤) ديوانه ص ١١٩

(د) المدح والرثاء :

لا نجد للمدح أثرا في ديوانه، ذلك لانه ملك يُمدح ولا يَمدح، وله قصائد قليلة الرثاء من أهمها رثاؤه لأخيه حسام الذي خرج عليه فحاربه فقتله يقول [1]:

نبأ لـه تصلى القلوب وتخشع ... وتفيض بالعبر الجفون وتهمع

نبأ تكاد الأرض ترجف عنده ... وتكاد ثم جبالها تتصدع

نبأ له طفق الملوك بغمة ... حيراء تلهف ليلها وتفجع

أحسام أوصب هم يومك خاطري ... والهم يخطر بالقلوب فيلذع

أحسام أوجعني رداك ولم أكن ... قدما ليوجعني مصاب موجع

أحسام عزّ علي فقدك من أخ ... عف الشمائل جوده ما يقلع

إلى أن يقول

فطعت يدي عمدا يدي وتوهمت ... من قبل أن يدا يدا لا تقطع

فهو قد قطع يده لأنه قتل أخاه : ولكن في سبيل الملك والسلطان يهون كل شيء وإذا كان في سبيل ذلك قد قتل أخاه فمن باب أولى قتله من ينازعه في الملك والسلطان يقول :

هل قبلكم كأخي لدي جلالة ... وهو الذي أضحى بسيفي مصرع

(ه) الحكمة :

شعر الحكمة قليل في ديوان النبهاني ، فنجد أبياتا قليلة في نهاية مقصورته التي عارض فيها ابن دريد مثل قوله :

والمرء لا ينفعه من ماله إلا الذي ... قدم في سبيل الهدى

وكل ذي عيش سيفنى ما خلا ... ذا العرش والفعل الجميل والثنا

من أخذ الصدق له سفينة ... وفوض الأمر لذى الطول نجا

---

(١) ديوان النبهاني ١٧٦

(٢) ديوان النبهاني ٣٦ – ٣٧

ثم ختم ديوانه بمخمسة وعظية [1]

ولا تـزغ عـن منهـج الرسـول محمـد المخصـوص بالتفضـيل

ولا تطـع أمنيـة التضـليـل فلم تفـز فـي الخلـد بالمقيـل

حتى توالـى المصطـفى النبيـا

باغافـلا عمـا بـه يـراد إذا حـوى كـل الـورى المعـاد

أيـن ثمـود ذهـبـت وعـاد إيـه وأيـن ربهـا شـداد

لم يبـق منهـم دهرهـم بقيـا

٣ – أسلوبه وفنه :

(أ) بناء القصيدة عند النبهاني :

يتبع النبهاني في كثير من قصائده بناء القصيدة الجاهلية، فيبدأ بالوقوف على الأطلال والغزل،ثمّ وصف الناقة وقد يشبهها بحيوان الصحراء ثمّ بعد ذلك يأتي بالغرض الذي من أجله نظم القصيدة. انظر إلى قصيدته التي مطلعها[2]

أللـدار من أكنـاف قو فعـرعـر فخبت النقـا بطن الصفا فالمشقر

كـأن سـطورا معجمـات رسومهـا إذا لحـن أو هلهـال بـرد مجبـر

تساقـط من عينيـك دمعـك واكفـا كما استنّ منبت الجمـان المشـذر

ثم يستطرد في وصـف الـدار ويخرج من ذلك إلى الغزل فيقول:

كـأن الحـدوج الرائحـات عشيـة مواقـر نخـل من سـمائل مبسـر

وفيهـن بيضـاء المجـرد طفلـة لطيفـة طـي الكشـح ريـا المـؤزر

عقيلـة بيـض من خرائـد يعـرب حللن السنام الضخم من متن حمير

ثمّ يخلص إلى الفخر وهو الغـرض الذي من أجله نظم القصيدة فيقول:

وعاذلـة هبـت عـليّ تلومنـي ومن يـك ذا هـم بمـا رام يسـهر

تلوم على أن أبـذل المـال كلـه وتزعـم أن الجـود بـاب التفـقـر

---

(١) ديوانه ٣٦٤

(٢) ديوان النبهاني ص ١٣٩ – ١٤٠ – ١٤١ – ١٤٢

وأن أسبق الشوس البهاليل في الوغى على نهب نفس الشمري الغضنفر

ولكنه لا يلتزم ذلك في كل قصائده، إذ نجده في بعض قصائده لا يهتم بالمقدمة الطللية بل يدخل إلى موضوعه مباشرة مثل قوله في مطلع قصيدته [١]

كلفنا بالصوارم والصّعاد وبالجرد المطهّمة الجياد [٢]

وعجنا عن مشعشة دهاق وعن بيض منعمة خراد [٣]

وقدنا الخيل للاعداء رهوا كما تسطو الذئاب على النقاد [٤]

وانظر أيضاً إلى هذا المطلع [٥]

أليـة بـر بالجياد الصواهل وبالمرهفات الباتكات القواصل

وبالزعف كالغدران من نسج تبع وبالسمهريات اللدان العواسل

ولكن النبهاني في غالب شعره، لا يخرج عن إطار عمود الشعر كما بينه القدماء.

(ب) أوزانه وقوافيه:

لا يخرج شعره عن الأوزان والبحور الستة عشر ولا نجد تجديدا في موسيقاه إلا في قصيدة مخمسة ختم بها الديوان، ونجد قوافيه منتظمة ليس فيها ضعف أو خلل.

(ج) عباراته وألفاظه:

إذا نظرنا إلى ألفاظه وعباراته نجد في كثير من الأحيان أن اللفظ يلائم المعنى كما نجد السهولة واليسر، فهو ستعمل الألفاظ الجذلة القوية في مقام الفخر والحماسة مثل قوله [٦]

---

(١) ديوانه ص ١٠٨

(٢) الصعاد : جمع صعدة وهي القناة : المطهمة : الممتلئة الجميلة الجياد

(٣) وملنا على الخمر المشعشعة الممزوجة وكأسها الممتلئ الدهاق وعلى المنعمات من البيض ، والخراد جمع خريدة وهي العذراء من النساء

(٤) رهوا : متتابعة أو ساكنة ، النقاد : صغار الغنم

(٥) ديوانه ص ٢٤٢ – ٢٤٣

(٦) ديوانه ص ١٤٣

أولئـــك آبـائـــي الذيـن هـم هـــم لبـــاب لبـاب الجوهـر المتخيـرة
مطاعين في الهيجا مطاعـم للقـرى مكاشـيف هـم الطـارق المتنـور
لباســـهم مـــن نســج داود أدرع سـوابغ تلـوى بالحسـام المذكـر

وكذلك قوله [1]

وجيش كموج البحر مجر صدمته فهـدّ انهـزاما كالنعـام المفـرق
ومســـتلئم حـام الحقيقـة ماجـد علوت بعضب ذى سفاسق مخفق[2]

ونراه في غزله يستخدم الألفاظ التي تقطر رقة وعذوبة مثل قوله [3]

أترى المعالم بالفيج ســمعن بثـي إذ شـكوت
لا بل مصحن كما مصحت وقد بلين كما بليت
لو كن يفهمن الخطـاب بكيـن لى ممـا رثيـت
ولنحن ثَّم كما أنوح ولا شـتفين كما اشـتفيت
دمع ترقرق في الخدود أرقت ثمت ما اكتفيت

وكذلك قوله [4]

أيـــا من لطـرف واكـف العبـرات وقلـب كئيـب دائـــم الحســرات
إذا لاح بـــرق أو ترنـــم طائـــر تصعدن من فـرط الأسـى زفـرات
صبابـة حـزن تعترينـي ولوعـــة إذا عادنـــي عيـد إلى صـبوات

وكقوله [5]

ويروقني ميس الغصون على النقا ويهيج أشـواقي السـحاب الرائح
وإذا تنغـــم أو ترنـــم منشـــد بالبـين سـاورني اكتئـاب فـادح
يا هل رأيت – عداك ذمـي – بارقـا وهنـــا تألـق وهـو خـاف لائـح
فبمهجتـــي بـرق طفقـت أشـيمه والنجم في بحر المغـارب جانـح

---

(١) ديوانه ٢٠٦
(٢) السفاسق : الطرائق، المخفق : السيف العريض، العضب : السيف
(٣) ديوانه ص ٦٦
(٤) ديوانه ص ٧٤
(٥) ديوانه ص ٩٠

ولقد ذكرت به تبسم راية والعيش عذب والزمان مصالح

ونجده عندما يعارض شعراء الجاهلية وعندما يصف الصحراء يستخدم غريب اللغة وحوشيها، مثل جفجف، أفناف، ومسحنفر، مكوهب، هطلع، عرندس، عشوشجة، ذعلبة .... الخ.

(د) صوره البيانية :

١/تشبيهاته :

امتاز النبهاني بدقة الصنعة، فلا تلمس في شعره تكلفا بل تراه ينساب كانسياب الماء عندما يتغزل، أما تشبيهاته فنجد أنها حسية قد استمدها من محفوظه من الشعر القديم ومن البيئة المحيطة به ومن ذلك قوله [١]

وثغر كممطور نور الإقاح تفتق عن يقق مزهر

كأن السلاف وصاف النطاف ومسكا بضاف إلى عنبر

يعل به ثغرها موهنا إذا جزع الريق في الأثغر

وخصر لطيف كمثل الجديل وردف كدعص النقا الأعفر

١/استعاراته :

استخدم النبهاني الاستعارات استخداما فنيا يجسم المعاني ويشخص الجمادات انظر إلى قوله [٢]

وإذا بكى جون الغمام بمعهد بال بكيت

فهو يشخص الغمام ويجعله إنسانا يبكى على سبيل الإستعارة المكنية وكقوله [٣]

والنصر يصحب رايتي أزمعت لبثا أم غزوت

فقد جعل النصر صاحبا ملازما له.

---

(١)ديوانه ص ١٢٢

(٢) ديوانه ص ٦٧

(٣) ديوانه ص ٧٠

وانظر إلى قوله [1]

إذ نحن نرفل فـي جلابيـب الصـبا ولنا الرياض المخصـبات مسـارح

فقد جعل للصبا جلابيب. وكقوله

وبمهجتـــي بـرق طفقـت أشـيمه والنجـم في بحـر المغـارب جانـح

ولقـد ذكـــرت به تبســـم رايـــة والعيـش عـذب والزمـان مصـالح

فقد جعل العيش عذبا والزمان مصالحا. وانظر إلى استخدامه للاستعارة التصريحية في قوله

ما إن يروعنـــا هزبـــر زائـــر يسـطو ولا كلـب عقـور نابـح

فقد جعل العاذل هزبرا وكلبا عقورا، والنبهاني يكثر من استخدام الاستعارات ليصور بها المعنى ويجسد بها الأحاسيس.

٣/ الكناية :

في شعر النبهاني العديد من الكنايات ومعظم كناياته مقتبسة من الشعر القديم مثـل قولـه [2]

وفيهـــن بيضـاء المجـرد طفلـة لطيفة طـي الكشـــح ريـــا لمـؤزر

كنى بري المؤزر عن امتلاء الأرداف، وكنى عن الضمور والامتلاء بقوله [3]

غرثى الوشاحين شبعى المرط خرعبة غيـداء ما شـانها طـول ولا قصـر

ويقول أيضا [4]

يضـــيق الإزار عن مآكـم ردفهـا ويفعم طوق الحجل والحجل واسع

---

(١) ديوانه ص ٩٠

(٢) ديوانه ص ١٤٢

(٣) ديوانه ص ١٥٢

(٤) ديوانه ص ١٨٧

كنى عن الامتلاء بضيق الإزار، وعن امتلاء الرجلين بقوله يفعم طوق الحجـــل ويقـول أيضـا [1]

بعيدة مهوى القـرط لميـاء كاعـب ضخيمة مجرى الحجل غراء محجال

بعيدة مهوى القرط كناية عن طول عنقها، وضخيمة مجرى الحجل كناية عن امتلاء أرجلها. ويقول أيضاً [2]

أنا الناهب الأرواح والواهب اللهـا إذا هاج بحـر الحـرب أو عزّ نـافع

كنى بالناهب والأرواح عن الشجاعة وقتل الأعداء، وكنى عن بالواهب اللها عن البذل والكرم، وفي البيت لف ونشر مرتب أى أنا الناهب الأرواح إذا هاج بحر الحرب، والواهب اللها حين يقل الكرماء. وفي شعره الكثير من الكنايات نكتفي بما قدمناه منها.

(هـ) صوره البديعة :

استخدم النبهاني الكثير من أنواع البديع استخداما يدل على تمكن ودراية، فهو دقيق الصنعة، بعيد عن التكلف، ونجد الجناس قليلا في شعره مثل قوله [3]

مطاعين في الهيجاء مطاعيم للقرى مكاشـــيف هـم الطـارق المتنـور

وانظر أيضا إلى الطباق مثل قوله [4]

ولـــى يومـان من نعـم وبـــؤس ولى طـعمـــان مـن أري وصـــاب

الطباق في نعم وبؤس، وأري وصاب. ونجد في شعره الكثير من المقابلات مثل قوله [5]

سعد السعود على العفـاة وإننـي لعلى طـغاة القـوم ســـعد ذابـح

وعـلى العـدو حمـام مـوت قاتـل وعلـى الصديـق أخ شـفيق ناصـح

---

(١) ديوانه ص ٢٢٤

(٢) ديوانه ص ١٨٤

(٣) ديوانه ص ٤٤

(٤) ديوانه ص ٣٩

(٥) ديوانه ص ٩٣

فهو سعد السعود على الفقراء وهو الموت والهلاك على الطغاة وهو على العدو حمام موت وعلى الصديق أخ شفيق. ويقول: [1]

ففي السلم إطعام العفاة سجيتي وفي الحرب إطعام النسور السواغب

فالمقابلة بين إطعام الفقراء في السلم وإطعام النسور لحوم الاعداء في الحرب

ويقول [2]

ولكم فقير زار ربعي عافيا ثَم انثنى وهو الغني الموسع

فهو يقابل بين الفقير العافي الذي يزوره ثَم يرجع غنيا موسعا له. ويكثر في شعره التوازن والازدواج مثل قوله [3]

ودو قطعت وخير زرعت وعاص وزعت ولم أحذر

وجيش هزمت وحصن هدمت وميل أقمت ولم يصعر

ومال وهبت وروح نهبت وحمد كسبت فلم ينكر

فنراه يقفي الأسطر داخل الأبيات ويمكن أن تقرأ الأسطر الأولى منفردة ومتوازنة ومقفاة نحو

ودو قطعت وخير زرعت

وجيش هزمت وحصن هدمت

ومال وهبت وروح نهبت

ويمكن أن تقرأ هكذا :

ودو قطعت وخير زرعت وعاص وزعت

وجيش هزمت وحصن هدمت وميل أقمت

ومال وهبت وروح نهبت وحمد كسبت

أو تقرأ هكذا :

ودو قطعت وخير زرعت وعاص وزعت ولم أحذر ... الخ

---

(١) الدوان ص ٥٧

(٢) ديوانه ص ١٧٠

(٣) ديوانه ص ١٢٣

(و) معارضاته :

عارض النبهاني الكثير من فحول الشعراء، وشعر المعارضة أشبه ما يكون بالتحدي فالمعارض يريد أن يبذ المعارض ولكنه أسير لمن عارضه يدور في إطاره وينسج في ثوبه وبذلك يقل الإبداع في مثل هذا الشعر، وقد عارض النبهاني دالية عمرو بن معد يكرب الزبيدي التي مطلعها

لبس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

بقصيدته التي مطلعها [1]

صرفت بالا عن سكينة هاجرا وسلوت هندا

ويقول في خاتمتها مضمنا بيت عمرو بن معديكرب

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا إن الجمال مكارم ومآثر أورثن مجدا

فقد غير في البيت الثاني كلمتين فوضع مكارم بدلا عن معادن ومآثر بدلا عن مناقب. وقد عارض النبهاني قصيدة المعري التي مطلعها

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

عارضها بقصيدته التي مطلعها [2]

ألا في سبيل المجد ما أنا صانع نفوع وضرار ومعط ومانع

ونظم على بحر وروى معلقة امرئ القيس قصيدته التي مطلعها [3]

أمرتبع أم أنت ليس بمنزل اوشم بزند أم وحيّ بجندل

يقول امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم بعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ويقول النبهاني :

ألا إنه رسم لاسماء طاسم تعاوره ريحا جنوب وشمأل

---

(١) ديوانه ص ١١٧

(٢) ديوانه ص ١٨٢

(٣) ديوانه ص ٣٣٢

ويقول امرؤ القيس :

وشـــعر يزين المـتن أسـود فاحم أثيـــث كقنـو النخلـة المتعسـكل

ويقول النبهاني :

وتســـتر متنيـها بأسـحم فاحـــم كثيف أثيث النبت جعد المرجل

ويقول امرؤ القيس :

مهفهفـــة بيضـــاء غـير مفاضـــة ترائبهـا مصقولـة كالسجنجـــل

ويقول النبهاني :

كـأن عقـود الـدر والشـــذر علقت على فضة من صدرها أو سجنجـل

وعارض النبهاني ابن دريد صاحب المقصورة المشهورة بمقصورة من نظمه مطلعها[1]

ياهـــل رأيـت بـين فيـد فاللـواء ظعائن تجـزع أعـــراص اللـــواء

وقد ذكرنا من قبل أن النبهاني حفظ الكثير من الشعر الجاهلي لذلك تسرب إلى شعره الكثير من عبارات الشعر القديم ومعانيه، واقتبس الكثير من ألفاظه وصوره ومعانيه. يقول طرفة في معلقته :

لولا ثـلاث هـن مـن عيشـة الفتـى وجدك لم أحفل متى قـام عـودى

فمنهـن سـبقى العازلات بشـربة كميـت متى ما تعـل بالمـاء تزبـد

وكرى إذا نادى المضـاف مجنبـا كسـيد الغضـى نبهتـه المتـورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنـة تحـت الطـراف المعمـد

ويقول النبهاني [2]

فلـولا ثـلاث هـنّ من خلـق الفتـى وعيشـك لم أحفـل أو ان مماتـي

فمنهنّ نص العيس في مطلب العـلا إذا إنخبـل الهلباجـة المتـآتـي

ومنهنّ قود الجيش كالليـل للوغـى وضربي رأس الأشوس المتعاتـي

ومنهنّ ركـض العيـس كـل عشـية وصـيد يعافيـر الظبـا ببـزاة

---

(١) ديوانه ص ٢٩

(٢) ديوانه ص ٧٧

ويقول امرؤ القيس :

كأنـــى لـم أركـب جـوادا للـــذة ولـم أتبطـن كاعبـا ذات خلخـال

ولم أسـبأ الـزق الـروي ولم أقل لخـيلي كـري كـرة بعـد إجفـال

ولم أشـهد الخيل المغيرة بالضحى على هيكـل عبـل الجـذارة جـوال

ويقول النبهاني [1]

كأنى لم اســتخل خـودا بخلـوة ولما أجنـب شطبـة ذات تصهـال

ولم أشرب الصرف السلاف ولم أنل مواهـب يلحقـن الفقـير بذى المال

ويقول عنترة بن شداد :

فتركتـــه جـزر السـباع ينشنـه يقضمـن حسـن بنانـه والمعصـم

فيقول النبهاني [2]

فتركتـــه جـزر السـباع مزمـلا بـــدم تعـاوره الذئـاب الجـوع

ويقول البحترى في وصف مركب المتوكل:

فالخيل تصهل والفوارس تدعـى والبيض تلمـع والأســنة تزهـر

ويقول النبهاني [3]

فالخيل تصهل والفوارس تنتمـى والبيـض تلمـع والأسـنة شـرع

ويقول المتنبي:

أنا تـرب النـدى ورب القوافـي وسـمام العـدا وكيـد الحسـود

فيقول النبهانى [4]

أنـا تـرب الوفـا ورب المعـالي وغمـام النـدى وليـث النـذال

ويقول المتنبى:

---

(١) ديوانه ص ٢٢٧

(٢) ديوانه ص ١٦٩

(٣) ديوانه ص ١٦٩

(٤) ديوانه ص ٢٤٥

فالخيل والليـل والبيـداء تعرفنـى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فيقول النبهانى [1]

فالبيض والسمر والهيجاء تعرفنى والليل والخيل والشوس والبهاليل

نكتفى بهذا القدر ولعلنا نكون قد عرفنا بهذا الشاعر وألقينا الضوء على شاعريته وفنه. وآن لنا أن نتحدث عن لون آخر من ألوان الشعر العماني القديم يمثله الشاعر سالم بن غسان اللواح.

---

(١) ديوانه ص ٢٥٠

سالم بن غسان بن راشد اللواح

حياته :-

ولد سالم بن غسان بن راشد اللواح الخروصي في قرية ثقب، وهي قرية صغيرة تبعد كيلو متر واحد عن وادي بني خروص على سفح الجبل الأخضر، وقد ذكر اسمه في شعره فقال [1] :

أنا العماني واسـمي سـالم وأبـي غسـان والأزدهم لي أصبحوا عمقاً

وكان مولد شاعرنا في شهر صفر سنة ٨٦٢هـ. وقد تعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم في قرية الهجار في وادي بني خروص، وقد عرف منذ نعومة أظفاره بشغفه بالعلم، وحبه للعلماء فرحل إلى نزوى [2]، وكانت مدينة نزوى آنذاك مهد العلم، وموطن العلماء، وقد أخذ اللغة والأدب وعلوم الدين عن كبار الشيوخ، وأقام بحارة الوادي في نزوى.

وتذكر الروايات أنه رحل من نزوى غاضباً إلى مسقط ساخطاً على أهل نزوى، وقد نظم في ذلك قصيدة بدأها مفتخراً بأصله وحامداً الله، ومستغفراً، ثم حث أهل نزوى على تقوى الله يقول [3]:

من القـوم الكـرام بنـي خـروص وأزد شـنوءة فهـم ذراهـا
ملـوك الجاهليـة أولـونـا وفي الإسـلام مفخرنـا تناهـى

ويقول ناصحاً أهل نزوى:

ألا مـن مبلـغ عـني ارتجـالاً نصيحـات وبـورك مـن وعاهـا
بهـذي الشمـس أقسـم وضحاهـا وبالليـل البهيـم إذا تلاهـا

إلى أن يقول:

لئن لم ترجعـوا يا أهـل نـزوى عن الحـال التـي فيكـم أراهـا
لتغـدوا كلكـم أيـد سـباء رهائـن بالنفـوس لمـن سباها

---

(١) ديوان اللواح ص ١٥٨
(٢) ديوان اللواح ص ١٥ وما بعدها
(٣) ديوان اللواح ص٣٨٧

ولقد كثرت رحلات اللواح في طلب العلم والمعرفة، وعندما بلغ الخمسين من عمره حج إلى بيت الله الحرام وكان لهذه الرحلة أثر كبير في نفسه، ففجرت شاعريته، ونظم العديد من القصائد التي يتغنى فيها بالكعبة ويذكر مناسك الحج ثم مدح الرسول ﷺ بقصيدته التائية وهو في طريقه إلى الحج يقول:

خل الكئيب بدائه في ذاته ففؤاده قد ذاب من حسراته
واتركه يرسب في عباب دموعه ويصعد الأنفاس من زفراته

وقد أنشأ - كما أسلفنا - قصائد في الشوق إلى الكعبة، وبالرغم من رحلاته العديدة في طلب العلم، وأخذه عن العديد من العلماء، إلا أننا لا نجد له مؤلفات سوى ديوانه، فلعله قد ترك العديد من المؤلفات ولكنها ضاعت أو توجد في بعض المكتبات الخاصة، ولعل الزمن يكشفها لنا. وقد توفى اللواح سنة ٩٢٠ هـ.

شعره :-

شعر اللواح يمثل شعر العلماء وهم كثر، ويبدو تأثرهم بالقرآن الكريم وبالسيرة النبوية، ويغلب على شعرهم الوعظ والإرشاد وتذكير الناس بالآخرة وتوجيه النصح لهم فالروح الدينية واضحة في هذا الشعر. وقد قسم اللواح ديوانه إلى أربعة أبواب:

الباب الأول :- جعله لتعظيم المولى سبحانه وتعالى، ورتب قوافيه على حروف الهجاء، وتبلغ قصائده نحو ثمانية، يقول في أول قصيدة في هذا الباب [١]

الحمد لله القريب النائي في ملكه مدبر الأشياء
العالم الداري السميع الرائي الخالق الخلق بلا امتراء
فيما برا من جملة البراء القابض الباسط في الإعطاء
بلا اعتجال وبلا إبطاء القاسم الرزق على الوراء
والحيوان الكل والشجراء الماسك الطير بلا أعضاء

ونلاحظ في هذا النص غلبة المفاهيم الإسلامية، وسهولة الكلمات ونلاحظ أيضاً الطباق في قوله القريب النائي وكذلك القابض الباسط والاعتجال والإبطاء، ولكن نلاحظ أنه في سبيل القافية يرتكب بعض الأخطاء مثل قوله : البراء ويقصد البرية والوراء ويقصد الورى والشجراء ويقصد الشجر، ثم يزعم أن الطير بلا أعضاء وهذا خطأ لا شك فيه. ويقول في

---

(١) ديوان اللواح ص ٧٥

قصيدة لامية [1]

الحمـــد للـــه إن اللـــه يأمرنـي بأن ينـــزه عـن ابـن وعـــن مثـل
الحمـد لله إن اللـه صـــور لـي عقلاً يميز بيـن الجـد والهـــزل
الحمـــد للـه إن اللـه قـدر لـي سـمعاً وشماً وطعم الحلو والدفل
الحمد للـه إن اللـــه أوســـع لي بطشـاً وسـعياً إلى حـل ومرتحل

وهكذا ترى أن هذه القصيدة يغلب عليها النظم، ويقول في قصيدة ميمية [2]

يا مـــن تفـرد بالإحـلال والكـرم والحمد والمجد والتنزيه والعظـم
يا معدم الشـيء موجـوداً بقدرتـه ومحدث الشيء موجوداً من العدم
يا عالماً بخفيات الذنـــوب ويـا سميع داعيـــه إســـراراً بلا كلـم

وهكذا يمضي الشاعر في تسابيحه وتعظيمه لربه.

أما الباب الثاني :- فقد جعله الشاعر في مدح الكعبة المشرفة، فذكر أشواقه إليها وشغفه بها، وصور المناسك والمقامات وأنشأ القصائد في توديعها وفرقها ومجموع هذا الباب نحو ٣٥ قصيدة، وقد رمز إلى الكعبة بليلى وناجاها مناجاة المحب ونحن نعلم أن الصوفية يرمزون إلى الحب الإلهي بليلى وقد استعاروها من قصة ليلى والمجنون فلعل اللواح قد تأثر في ذلك بشعر الصوفية، ونجد في شعره في الكعبة حرارة وشوقاً يقول [3]:

أحن إلى ليـلى وليلـى منى قلبـي حنين خمـاس أو فـراق إلى سـقب
ومن لائمي إن ذاب قلبـي صبابـة لليلى وحق أن يـــذوب لها قلبـــي
تعلقتهـــا طفـلاً وشيخـاً ويافعـاً وعشت بها صبّ الهوى أيما صبّ
وحسبي بما بي من جوى وصبابـة لليلى وحسبي ما شغفت بها حسبي
ومن لي إلى الركب الحجازي إنني أخو لوعة تعنو إلى ذلـك الركـب
أقول لصحبي أيمنوا بي إلـى الحمـى وعوجوا على وادي العقيق بنا صحبي

---

(١) ديوانه ص ٩١
(٢) ديوان اللواح ص ٩٣
(٣) ديوانه ص ١٠٣

يقولـون لي ليـلى الشريفة بينها وبينك ما بين الركـاب على الغبـي
وترجو لها وصلاً ومن دون وصلها تنايف سـهب قد أضـفن إلى سـهب
فقلـت لهـم إني إلـى اللـه راغـب وأسـأله وصـلاً إلى تلكـم الحجـب

وهكذا ترى أن الأثر الصوفي واضح في هذه الأبيات فهو يصور حنينه إلى الكعبة بحنين الناقة التي فقدت ولدها، ولا يهتم بقول من يلومه في تعلقه بحبها ويقول ذاكراً الأماكن الحجازية[1]

عـــــرج عـــلى وادي العقيـــق إلـى المحصـــب مـــن منـــى
وانظـــــر خيـــام القاطنيـــن وســـل بهـــن القطـــنـــا
هـــل تعـــرفـــون مدلهـــا بهمـــ ضـــنى وهـــم الضنـــا

ويذكر أنه لا يريد بحبه ليلى الأخيلية ولا ليلى العامرية وإنما حبه معلق بالكعبة يقول[2]:

ألا شـغف الفـــؤاد بحـــب ليـلى الشـريفـــة لا بليـلـى الأخيليـة
وعشـت وفي هواهـا عاش دونـي قييـــس في ليـيـلى العامريـــة
أسـير في هـوى ليـلى فدونـــي أســـيراً عـــاش غيـلان بميـه

ويقول أيضاً [3]

وحـــب جمـــال ليـلى أن ليـلى لغايـــة منيتـــي وبهـــا مفـــازي
ولولا حـــب ليـلى مـا رمـــت بي نـــوى قـذف إلـى أرض الحجـــاز
وحســـبي أننـــي من حـب ليـلى إذا عـــزت الأحبـــة غيـــر عـــاز

ثم يقول مودعاً الأماكن الحجازية [4]

وداعاً وحســـبي اللـــه يا عرفـات وداع تـــلاق لا صـــراً وشـــتات
أيا عرفـات جمـع اللـــه شـــملنا وتمـــت جماعـــات بكـــم وفئـات

وهكذا نرى اللواح يعبر عن حبه الخالص للكعبة، ويبدو تأثره الواضح بالمدائح النبوية التي راجت في عصره حيث يكثر الشعراء من ذكر الأماكن الحجازية في رمزية صوفية.

---

(١) ديوانه ص ١٧٠
(٢) ديوانه ص ١٩٧
(٣) ديوانه ص ١٢٩
(٤) ديوانه ص ١٠٩

الباب الثالث المدائح النبوية :-

وقد خصص اللواح هذا الباب لمدح الرسول ﷺ وقد مدحه ﷺ بشرف النسب وعراقة الأصل وحسن الخلق وبشريعته التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، يسرد معجزات الرسول ﷺ وتبلغ قصائد هذا الباب نحو ١٦ قصيدة وإذا أخذنا قصيدته نبي الهدى [١] مثالاً لقصائد المدح فإنها تبدأ بالغزل وذلك على نمط قصيدة كعب بن زهير المشهورة يقول:

أسير الهوى قل لي فما أنت صانع ... إذا ما بدت للظاعنين المصانع

وأنت بأخفاف الملاكد واقف ... وطرفك مطروف وعنسك ظالع

عشية جد البين وانشقت العصا ... وجاد بمدح في الوداع الموادع

ثم يستمر في هذا الغزل ويتخلص إلى المدح فيقول:

تنصل عن الأطماع واعلم بأنها ... تقطع أعناق الرجال المطامع

ولا مدح إلا في النبي محمد ... وكل مديح في سواه فضائع

ثم يمدح الرسول فهو خير الخلق ولولاه لما كان الكون وأنه تفرع من لؤى بن غالب، ثم يمدح شريعته وأصحابه:

نبي فلولاه لما كان كائن ... ولا كان إسلام به ذاع ذائع

محمد خير المرسلين أخيرها ... وأولها في الفضل والمجد شايع

تفرع من عليا لؤى بن غالب ... فناهيك عرقاً طار والفرع بارع

تقبل كميه ملائكة السماء ... وتلثم نعليه الملوك التبابع

كريم المساعي للنبيين خاتم ... شرائعه ما بعدهن شرائع

عليه صلاة الله ما خب راكب ... وما جزعت بالجلهتين الأجازع

وفي قصيدة أخرى نراه يعدد معجزات الرسول ﷺ يقول [٢]

إيوان كسرى وخمد النار والقمر ... المنشق في كمه من بعد ما طلعا

والظبي حياه والعود المسن ... وتلك الشاة قد حذرته السم منتقعاً

وفي حليمة آيات مبينة ... في ثديها وخلوف الشاة مذ رضعاً

وفي الغمامة حيث الشمس سافرة ... تظله ولعاب الشمس إذ سفعا

وكم له من أدلات إذا ذكرت ... في أرعن هد أو قلب عنا خضعا

---

(١) ديوان اللواح ص ٢١٥-٢١٦

(٢) ديوان اللواح ص ٢١٩

يا أحمـــد يا بن عدالـلـه يا أمـلي أرجـوك لي ولنظمي فيك مستمعا

ثم يعقب ذلك بالتوسل وطلب الشفاعة:

كن لي شفيعاً وهب لي منك عائدة بها لعمـري تزيل العسر والضرعا

عليـك صـلى الإلـه ما جرى فـلك وعـام فلـك وما بحـر بـه نزعـا

الباب الرابع :- وقد جعله اللواح للوعظ والنصائح والدعاء وقصائده نحو ٥٥ قصيدة :

ومن أمثلة المواعظ قوله [١] :

ألا كـم مـدع للـــه تائـب وفيمـا يدعيـه فهـو كـاذب

فـإن التائبيـن لهـم طريـق تدل عـلى مواضيـه الرغائـب

وبغـض الـذي كانـوا عليـه وحـب للـذي للـه واجـب

وهجـران الكـرى حيث البرايـا بهم مـال الكـرى والليـل كاثـب

تبيـت قلوبهـم فيهـا وجيـب لخوفهم وأدمعهم سواكب

فهذا كما نرى نظم فقهي لشروط قبول التوبة، ويقول أيضاً واعظاً [٢]:

هـل إلـى عهـد الشـباب بعـد التصـرم مـن إيـاب

ويعـود عـودي مـورقـاً ويـؤول نـابـي غيـر نـاب

هيـهـات أوبـة لـذة ولـت بأيـام الشـباب

حقـا عـلى المتجـاوز الخمسـين يبكـى بانتحـاب

ومـن العجائـب عـاقـل عقبـاه من درك العـقـاب

نلهـو بتخريـب العمـار وفـي عمـارات الخـراب

ويختم قصيدته هذه بالدعاء:

وبباب عفـوك قـد وقفـت بباب عفـوك أي بـاب

فاقبـل متـابي إننـي أرجـوك تقبـل لي متـاب

فاحسـم ذنوبـي يا إلهـي بالـدعـاء المسـتجاب

وأدخلنـي اللهـم جنـات النعيـم بـلا حسـاب

جـار النبـي المصطـفى وأصحابـه خيـر الصحاب

صـلى عليـه اللـه ما رقـص العسـاقـل بالـركـاب

---

(١) ديوان اللواح ص ٢٧٩

(٢) ديوان اللواح ص ٢٨١

نظرة في شعر اللواح :

وهكذا نجد شعر اللواح لا يرقى إلى مستوى شعر الستالي والنبهاني، وإنما تغلب عليه روح النظم، وذوق الفقهاء، وقد تأثر بالقرآن الكريم لا في أسلوبه ونسجه بل في سرد ما ذكره يقول مثلاً [1]:

سبحان من أسرى به بعد هجعة إلى حضرة منه قريب بعيدها

وذلك من قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

ويقول [2] :

يا من هو الله لا شيء يشابهه شيء بل الشيء معدوم وموجود

فرد تعالبت لا ند ولا وزر كلا ولا والد تدعى ومولود

وهذا من قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾، فهذا كما ترى مجرد نظم ليس فيه اقتباس ولا تأثر بأسلوب القرآن الكريم. وكذلك نجد في شعره الكثير من الأخطاء في استعمال الكلمات فهو يستعمل المغل ويريد المغول ويستعمل الشرع في معنى الشراع ويستعمل كلمة الوراء في معنى الورى وذلك كثير كما نجد أن هناك اختلالاً في الأوزان في شعره مثل قوله [3] :

عبداك هذا سعيد والشريف علي زئراك العمانيان أهل تقي

وكذلك قوله [4] :

يا من نظر الأعمى وقد فصحت نوق اليماني له لما لها رمقا

وكذلك نجد هنالك الكثير من التراكيب المختلفة المعاني مثل قوله [5] :

الماسك الطير بلا أعضاء

نكتفي بهذا ولعلنا ألقينا بعض الضوء على شعر اللواح الذي هو نموذج لشعر العلماء.

وبالله التوفيق وعليه الاتكال..

---

(١) ديوانه ص ٢٥٦
٢() ديوانه ص ١٥٩
(٣) ديوان اللواح ص ١٥٧
(٤) ديوان اللواح ص ١٥٨
(٥) ديوان اللواح ص ٧٥

أهم المراجع:-

١ – تاريخ العرب للدكتور فيليب حتى وآخرين، دار غندور، بيرات ١٩٨٦م.

٢ – تاريخ الأدب في العصر العباسي، دكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.

٣ – تاريخ أهل عمان، تحقيق سعيد عبدالفتاح، وزارة التراث بسلطنة عمان، ١٩٧٠م.

٤ – تحفة الأعيان للسالمي، نشر دار الاستقامة.

٥ – التخليص في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي.

٦ – جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي البعلبكي.

٧ – حصاد المنتدى الأدبي بسلطنة عمان، إصدار ٨٩ / ١٩٩٠.م

٨ – ديوان الستالي، تحقيق عز الدين التنوخى، دمشق ١٩٦٤م.

٩ – ديوان السلطان سليمان النبهاني، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٥م.

١٠ – ديوان اللواح، تحقيق محمد علي الصليبي، طبعة أولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. نشر وزارة التراث القومي بعمان.

١١ – شقائق النعمان على سموط الجمان لمحمد بن راشد الخصيبي، وزارة التراث القومي بسلطنة عمان.

١٢ – شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

١٣ – الطبقات الكبرى لابن سعد.

١٤ – عمان وتاريخها البحري لوليم فايس وآخرين، نشر وزارة الإعلام بسلطنة عمان.

١٥ – العمدة لابن رشيق.

١٦ – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.

١٧ – القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الفكر بيروت، ١٩٨٣م.

١٨ – كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدلي.

١٩ – معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

٢٠ – المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالله الطيب، نشر دار جامعة الخرطوم.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
١ – البيئة العمانية	١
٢ – سكان عمان	٧
٣ – عمان في الإسلام	٧
٤ – الشعر العماني	٩
٥ – مميزات الشعر العماني القديم	١٢
١ / التمسك بعمود الشعر العربي القديم	١٢
٢ / الالتزام بالأوزان التي اكتشفها الخليل بن أحمد	١٣
٣ / استخدام المحسنات البديعية	١٥
٤ / غلبة الروح الاسلامية	١٩
٥ / أغراض الشعر العماني	١٩
أ – المديح	١٩
ب – الغزل	٢٢
ج – الرثاء	٢٥
د – الفخر والحماسة	٢٦
هـ – الوصف	٢٧
و – الحكمة	٢٩
ز – الشعر الديني	٣٠
ح – الشعر التعليمي	٣٢
الستالي شاعر بني نبهان	٣٥
١ – مولده ونشأته	٣٧
٢ – شعره	٤١
٣ – أغراض شعر الستالي	٤٢
أ / المدح	٤٢
ب / الغزل	٤٦
ج / الرثاء	٤٩
أسلوبه وصناعته الشعرية:–	٥٢
أ / الطباق	٥٣
ب / رد الأعجاز على الصدور	٥٤

ج / الترصيع ٥٦
د / التسميط ٥٦
هـ / التشبيهات والصور ٥٨
و / ملاحظات ومآخذ ٦١
السلطان سليمان النبهاني ٦٥
١ – حياته ٦٧
نهايته ٧٢
٢ – شعره ٧٤
١ / أغراض شعره ٧٤
أ – الفخر والحماسة ٧٤
ب – الغزل ٧٧
ج – الوصف ٧٩
د – المدح والرثاء ٨٢
هـ – الحكمة ٨٢
٣ – أسلوبه وفنه ٨٣
أ / بناء القصيدة عند النبهاني ٨٣
ب / أوزانه وقوافيه ٨٤
ج / ألفاظه وعباراته ٨٤
د / صوره البيانية ٨٦
١ – تشبيهاته ٨٦
٢ – استعاراته ٨٦
٣ – الكناية ٨٧
هـ / صوره البديعية ٨٨
و / معارضاته ٩٠
سالم بن غسان اللواح ٩٥
حياته ٩٧
شعره ٩٨
نظرة في شعره اللواح ١٠٣
المراجع ١٠٤
الفهرست ١٠٥

رقم الأيداع : ٢٥٩ / ٢٠٠٣